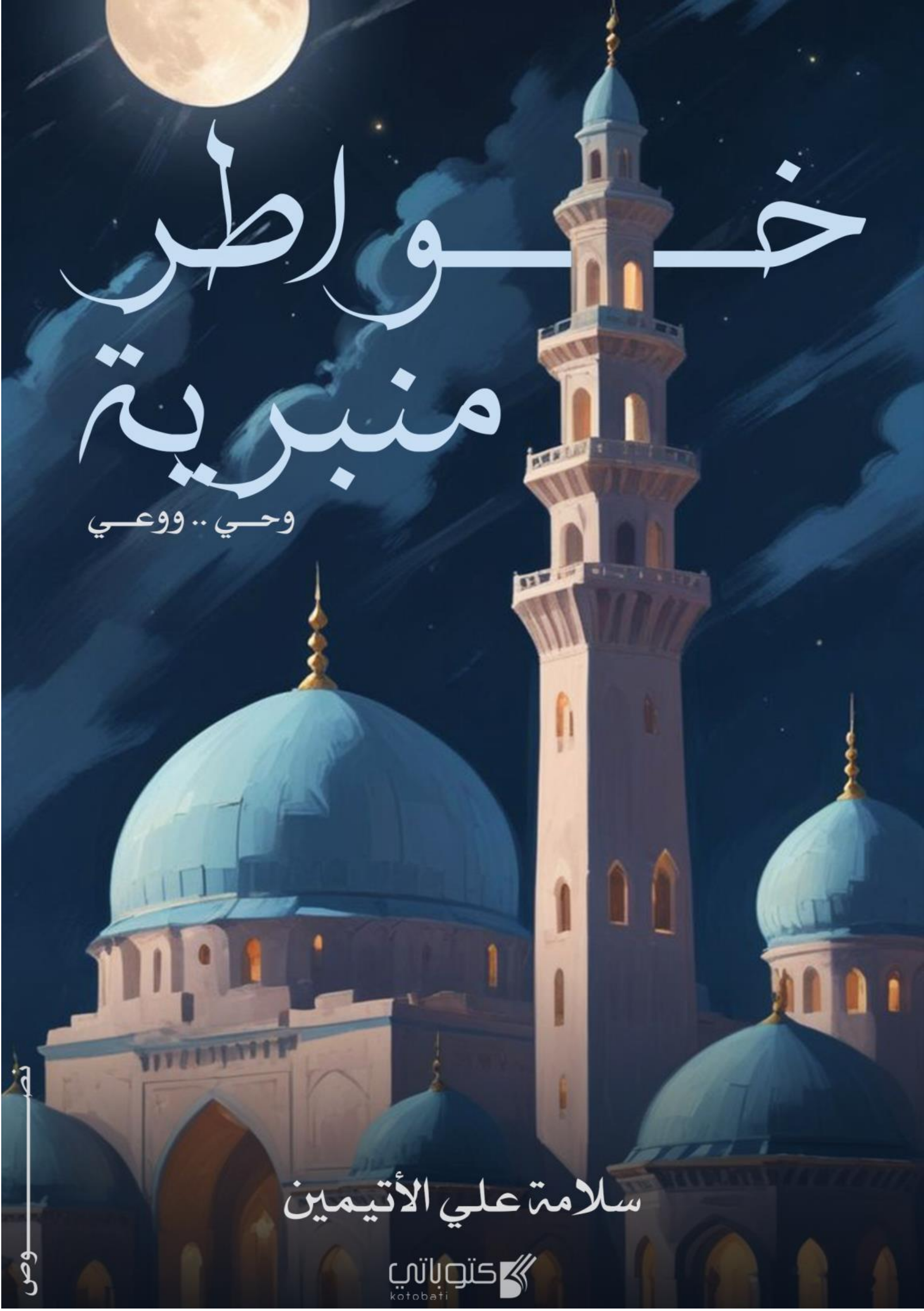

خواطر منبرية

وحي .. ووعي

سلامة علي الأتيمين

كتوباتي

kotobati

نصوص

خواطر منبرية

وحي ووعي

سلامة علي الأتيمين

الكتاب: خواطر منبرية.. وحي ووعي

تأليف: سلامة علي الأتيمين

النوعية: ديني

الإصدار: 2024

التصميم والتنسيق: مكتبة كتوباتي

النشر الإلكتروني: مكتبة كتوباتي

support@kotobati.com

www.kotobati.com

كل الأفكار المذكورة في الكتاب لا تعبر عن مكتبة كتوباتي.

وكل الحقوق محفوظة لدى المؤلف.

الفصل الأول 6

الفصل الثاني 114

بسم الله الرحمن الرحيم

قبل بضع سنوات...

أيام كنت إمام المسجد... أي قبل التقاعد...

كانت تأتيني الخواطر أثناء التحضير للخُطب والدروس في المسجد...

فعزمت أن أكتب بعضها أو ما تيسّر منها..

لعل الله سبحانه وتعالى أن ينفع بها...

فبدأت أكتب هكذا ما يَعنُّ لي منها...

أحياناً ببطء وأحياناً بسرعة الكتابة...

فلما اجتمعت لدي مجموعة من الورق, لا بأس بها..

و إذا بها أشبه بالاستطراد والاسترسال والخواطر !

ولا بأس إن كان المسلم أي مسلم سيجد فيها ما ينفعه...

فربما أثارت فكرة عند نبيهٍ فَهِمٍ, ففتحت له آفاق من الوعي النافع للأمة... وربّ مُبلّغ أوعى من سامع..

فهلم أخي تؤمن ساعة في محراب المُخبتين..

ونختم بفصلٍ مُختصرٍ عن ترتيب وقت المسلم الحريص على وقته الضنين بعمره أن يذهب سدى...

﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا﴾

سورة المؤمنون

الفصل الأول

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ21﴾

سورة البقرة

هل تعلم يا بن آدم أنك عبدٌ لله عبودية قهر ؟ و إن لم تكن عبد له عبودية أمر. أنت عبدٌ له بالإيجاد, وزمن الإيجاد. فهل لك دخلٌ في ذلك ؟!

هل لك دخل في من يكون لك أباً أو أم ؟! فأنت عبد له بقهره وهكذا لونك, وطولك وعرضك, وجنسك ونموك وأكلك وشربك ونشاطك ونومك فهل تخالفه في قوانين قهره التي قهرك بها ؟!

وكذلك حاجتك إلى النظافة ودخول الخلاء وقضاء شهوتك وحتى مرضك وتقدمك في السن ومستوى ذكائك وسلامة حواسك وعافية بدنك وأبلغ من ذلك ساعة موتك !!

﴿وَلِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ ۖ فَإِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً ۖ وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ34﴾

سورة الأعراف

﴿حِكْمَةٌ بَالِغَةٌ ۖ فَمَا تُغْنِ النُّذُرُ5﴾ سورة القمر

كل من على وجه الأرض مقهور بقهر الله الواحد القهار والكل لا مناص له من قوانين الله القهرية شاء أم أبى, أحب أم أكره, وحّد الله أم جحده, فهذه عبودية القهر ﴿ وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ46﴾ سورة فصلت

وكلمة عبيد إذا جاءت في كلام الله فهي تعني الجميع الكافر والمؤمن, لأن عبودية القهر تشمل الجميع, وأما كلمة عباد في القرآن فهي تخص المؤمنين.

ولكن الذي آمن بالله رباً وبالإسلام ديناً وبمحمدٍ صلى الله عليه وسلم نبياً ورسولاً إذا تفكّر في هذا وتدبّره خَشِعَ قلبُه وذلّت جوارحه وعنا وجهه للحي القيوم. فأخذ بالشق الآخر من أمر الله ونهيه. وهو كتاب الله عزوجل وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم حتى يضيف إلى عبودية القهر عبودية الأمر. ﴿ أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ54﴾ سورة الأعراف

, فأول ما يبدأ به هو قول رسول الله صلى الله عليه وسلم «مَنْ يُرِدِ اللَّهُ بِهِ خَيْرًا يُفَقِّهْهُ فِي الدِّينِ ». حتى يتعلم أمر الله ونهيه ويعمل بما علم عمل رغبة ورهبة وشعاره في ذلك أن لا يفقده الله حيث أمره ولا يراه حيث نهاه. فيلازم ما ينفعه في دينه, فلا يغتر بالأسماء والعناوين, فإذا طلب القرآن فعليه أخذ ألفاظه من حُفّاظه , ومعانيه ممن يعانيه, بل عليه طلبه كله بأهل الآخرة الذين يرونها كأنها رأي عين ومن لا ينفعك لحظة لا ينفك لفظه !

﴿ فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ43﴾ سورة النحل

فإذا أُشكل عليك أمر فعليك بالعالِم في ورعه, الورع في علمه, فالأمر جِدّ خطير, لأن أوامر الله ونواهيه في كتابه وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم هي شق الاختيار في عبودية العبد لربه بل هي الابتلاء بعينه ! ﴿الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾ سورة الملك.

واعلم يقيناً أنّك مُخيّر في هذا الجانب ولست مُجبراً لحكمة أرادها خالقك ومُدبّر شأنك سبحانه وتعالى ومع ذلك فإنّك لا تخرج عن قدره وعلمه المحيط الأزلي السرمدي.

(تعرّف إلى الله في الرخاء يعرفك في الشدة) تعرّف إلى أمره ونهيه واعلم بأنّك إذا عرفته عرفت كلَّ شيء, وإن جَهِلته جهلت كل شيء !

فالخلق خلقه, والأمر أمره, والفعل فعله, والعافية بيده, والرزق من عنده, والموت بأجله, والنفع والضر بقدره, وقلوب العباد بين أصابعه, فأصلح ما بينك وبينه يصلح الله لك دنياك وآخرتك.

فليتك تحلو والحياة مريرة ... وليتك ترضى والأنام غضابُ
وليت الذي بيني وبينك عامرٌ ... وبيني وبين العالمين خرابُ
إذا صلح منك الود فالكل هيّنٌ ... وكل الذي فوق التراب تراب

(إن الرجل ليحرم الرزق بذنب يصيبه).

﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً ۖ وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ97﴾ سورة النحل...

﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَكُمْ ثُمَّ رَزَقَكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ۖ﴾ سورة الروم...

نعم ! إنها لدرجة عالية من الإيمان أن تكون على يقين أنّه لا يتحرك من متحرك ولا يسكن من ساكن إلا بأمر الله عزوجل, هذا يجعلك تُقدّم طاعته على كل طاعة, وأمره على كلّ أمر, تقدمه على هوى نفسك, ووساوس شيطانك, ورغبة زوجك وولدك, وقبل والديك وعشيرتك, وآراء جماعتك أو حزبك, وشعار إقليمك أو منطقتك. إلى آخر ما هنالك من الأنداد والأضداد .

وهنا يهتف قلبك من الأعماق بكلمة التوحيد (لا إله إلا الله) !

هنا تبدأ سعادتك, وطمأنينة قلبك, وهدوء أعصابك, وانطلاق روحك, وحرية عبوديتك لله رب العالمين.. ﴿ أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ28﴾ سورة الرعد... ﴿قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَٰلِكَ فَلْيَفْرَحُوا هُوَ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ58﴾ سورة يونس...

زرع الزهد بقلبي شجره — بعد أن نقى بجهد حجره
وسقاها إثر ما أودعها — كبد الأرض بدمع فجره
و إذا أبصر طيراً مفسدا — حائماً حول حماها زجر

نمت في ظل ظليل تحتها   روّح القلب ونحى ضجره
ثم بايعت إلهي وكذا   بيعة الرضوان تحت شجرة

الآن تصبح الصلاة قرة العين, والقرآن بهجة الروح, والذكر أنس القلب, والتفكّر محراب العبودية, وقيام الليل راحة النفس, وبيوت الله مهوى الفؤاد, وطلب العلم النافع غاية المُنى, لأنه النور الذي يهدي إلى سواء السبيل ! إنه المصباح الذي يضيء لك الطريق في عتمة الشهوات والشبهات ! حتى ترى الحق حقاً والباطل باطلاً في العقائد والأفكار والسلوك والأخلاق... ﴿أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ14﴾ سورة الملك.

(كُن عالماً أو متعلماً أو مستمعاً أو محباً ولا تكن الخامسة فتهلك !). فلا غرو أن يجتهد المسلم في ترتيب وقته ليتزود من العلم النافع والعمل الصالح وأن لا يجعل للعلم فضول أوقاته, لأن النفوس لها إقبال و إدبار , و إلزامها بالتعلم عند إدبارها عمىً لبصيرتها, فَخصص من خيرة وقتك لزيادة علمك, ولا شك أن العلم قبل العمل حتى تعبد ربك على بصيرة, والعلمُ إمام والعمل تابع, وأول العلم وأحقه بالجد كتاب الله عزوجل. والمسلم الذي لا يحسن تلاوة كتاب ربه لا أدري كيف يتلذذ بعبادته ؟!

وهناك جهلٌ مريع في أمة الإسلام اليوم وبين مُثقفيهم وشبابهم بكتاب الله وتلاوته وفهمه, ولا شك أنّ النفس إن لم تُشغلها بالخير ستشغلك بالشر, و إن لم تشغلها

بالعظائم ستشغلك بالصغائر, و إنه لقصور بالمسلم أن يجهل تلاوة كتاب ربه ويُحسن ما سوى ذلك ! ... ﴿ قَالَ أَتَسْتَبْدِلُونَ الَّذِي هُوَ أَدْنَىٰ بِالَّذِي هُوَ خَيْرٌ ﴾ سورة البقرة...

ألم تعلم أن هذا هو كتابك المقرر ؟!

الذي يُغني عن كل ما سواه, ولا يُغني عنه شيء, فهو أصل العقيدة, ومادة الشريعة, وأساس السلوك, وعنوان الخلق, وسر الإعجاز, ولا يشبع منه العلماء, ولا يخلق عن كثرة الرد, كما أنّه يُقوّم اللسان, ويصوّب النطق, ويُقوي الحجة, ويُفحم الخصم, ولا شك أنَ الذين لهم أدنى معرفة بالعربية يدركون كم هو البون شاسعاً بين من أخف حظاً من القرآن وبين من هو مفلسٌ منه, في منطقه وحجته وأسلوبه, إن الفرق بين كلام الله وكلام خلقه كالفرق بين الله وخلقه وتعالى الله علواً كبيراً !!

وأول الطريق ترتيب الوقت, " نِعْمَتَانِ مَغْبُونٌ فِيهِمَا كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ: الصِّحَّةُ وَالفَرَاغُ". فلو حاسب كل واحد منا نفسه على وقته وصحته, لوجد الهدر لوقته وصمته فيما لا ينفعه في دينه ولا دنياه, بل وأحياناً فيما يضره ولا ينفعه, فكم من وقتٍ يُقضى في مجلس لهوٍ ولغو, أو قراءة قصة ساقطة, أو متابعة وسيلة إعلامٍ هابطة, أو على أقل تقدير تقديم مهم على ما هو أهم منه ؟!

يُروى في النوادر : أن رجلاً في مجلس أمير من الأمراء ادّعى مهارة وهي أنّه يستطيع أن يرمي مئة إبرة فتقع كل إبرة في عين الأخرى وقام بذلك بين يدي الأمير, فقام الأمير بإعطائه مئة دينار على مهارته, وأمر بضربه مئة جلدة لأنها مهارة لا تفيد أحد !!

فكم من شباب الإسلام اليوم من يهدر وقته ويغتال شبابه, ويُضيّع عمره, وينهك فكره وعقله في حفظ الأغاني وأسماء المُغنيات والممثلين والممثلات الأحياء منهم والأموات, ومتابعة الموضات والتقليعات, والحركات والسكنات؟! فلا يشعر المسكين وهو في تأملاته وشطحاته, ووساوسه وغفلاته, وشروده وتوتره, إلا والشيب يخُط عارضيه, وقد ذَبُل جسمه, و كَلّت عزيمته, وتغير حاله, و إذا به لا أرضاً قطع ولا ظهراً أبقى ! نسأل الله العافية.

فقم أخي المسلم من الآن ورتّب وقتك واجعل لله نصيباً يومياً من كتاب الله عزوجل تلاوةً وحفظاً وتدبّراً مراعياً وقتك وعملك ومستوى ذكائك وقوة ذاكرتك.

" والله خير حافظا وهو أرحم الراحمين ",ولو حفظ المسلم كل يوم خمس آيات على أقل تقدير, وكررها في صلواته الخمس, وألزم نفسه بهذا الترتيب لخرج من آخر العام وقد حفظ ما يقارب ثلث القرآن ! ولا أظن أن هذا الترتيب اليسير يؤثر في وقت أي مسلم مهما بلغت مشاغله وهمومه !

ولكن الأمر يحتاج إلى نية خالصة وعزيمة صادقة, وأنا لا أشك أن الشيطان سيحرص على قطع الطريق عليك, فأين أنت من مراغمته والاستعاذة بالله من شرّه ؟! والمأسور من أسره هواه والمحبوس من حبسه الشيطان عن طاعة الله !

ثم المذاكرة المذاكرة لما حفظت , واعلم أن القرآن يعطيك على قدر ما تعطيه !

فإن تهرّبت منه تفلّت منك, وأكثر مدة لمراجعة ما تحفظه ولو مراجعة سريعة من أسبوعين إلى ثلاثة والثلاثة كثير !

وما أعظمها نعمة من الله وفضل أن تكون من حفظة كتاب الله عزوجل (ومن حفظ كتاب الله فقد استدرج النبوة بين جنبيه غير أنه لا يوحى إليه) (وخيركم من تعلم القرآن وعلّمه), ولو كان لي من الأمر شيء ما تركت داعية ولا إمام مسجد إلا وألزمته حفظ كتاب الله عزوجل فضلاً عن خريجي كليات الشريعة وما إليها.

فنعم المنهاج هو, ونعم الصاحب في الغربة, والأنيس في الوحشة, والمُثبّت في الفتنة, و إن حفظ حروفه وحدوده وفهمه ومطالعة ما يتعلق به من علومه وتفسيره وما إلى ذلك وتوفيق الله من قبل ومن بعد ليبلغ بك إلى درجة ذلك الإمام الذي يكيد له خصومه ومخالفوه فيقول : والله ما أدري ما يفعل أعدائي بي : إن قتلوني فشهادة, و إن حبسوني فخلوة وعبادة, و إن نفوني فسياحة وريادة, إنّ جنتي في صدري !! – أي علمه و إيمانه ويقينه - ...

وهذه ثمرة تربية القرآن التي لا تضاهيها تربية, إنها تعاليم العليم الخبير التي تبلغ بالمؤمن أقصى ما ينبغي لبشرٍ أن يبلغه من صلاحٍ ويقينٍ وثباتٍ ووضوح رؤيةٍ ﴿صِبْغَةَ اللَّهِ ۖ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ صِبْغَةً ۖ﴾ سورة البقرة.

ثم اجعل من وقتك نصيباً للمطالعة مهما كان تخصصك ومستواك العلمي وابدأ بما يحتمله عقلك ويدركه فهمك من تفسير وفقه وحديث وسيرة من قديم وحديث ومن مؤلفات المعاصرين النافعة في جميع فنون الثقافة الإسلامية.

هذا على سبيل الأولوية, و إلا فكلما توسعت في المطالعة توسعت مداركك وتنوعت ثقافتك, واحرص ألا يفوتك يوم إلا وتقرأ فيه جديداً أو تراجع فيه تلخيصاً إلا من ضرورة!

ولئن تموت عالماً بمسألة خير من أن تعيش جاهلاً بها, ولولا أن الله أكرم الإنسان بالعلم وما يؤدي إليه من خير,لكان الإنسان والحيوان سيّان, أكل وشرب وشهوة وعدوان وهذه أدواء العصر ومشكلة المشاكل, ﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا﴾ سورة طه .

وللعلم وسائله وسبله المختلفة إضافة إلى ما تعارف عليه الناس اليوم من مدرسة وجامعة فهناك الإعلام الهادف مُشاهَداً كان أو مسموعاً أو مقروءاً أو مسجلاً, ولو صلحت النية, وصح القصد, وابتُغِي في هذه الوسائل وجه الله والدار الآخرة لكان الحال غير الحال.

ولا يخلو زمان ومكان من قائم لله بحجة ... ولكن اتسع الخرق على الراقع !

لو ألف بانٍ خلفهم هادمٌ كفى ... فكيف ببانٍ خلفه ألف هادمِ

وبضاعة الشيطان أسرع رواجاً , لأنها تلائم هوى النفس. أما بضاعة الرحمن فهي تكاليف ومصابرة للنفس والمعصوم من عصمه الله.

فقد يسمع المؤمن موعظة أو يقرأها أو يأتيه وارد روحاني في ساعة تفكر , فيحصل له نوع توجه إلى الله ورغبة في الخير ونفور من الشر, فيرجع إلى بيته في المساء ليشاهد على الشاشة الدنيا وقد تبرجت وتزخرفت وتزينت وظنّ أهلها أنهم قادرون عليها, والشيطان ينادي عليها بأعلى صوته : أن هلم أيها الناس إلى سوق الشهوات وكشف العورات, وعزف القينات, وتسهيل ارتكاب الموبقات !

فيفسد هذا الجو الخبيث وعظ الواعظين, وتذكير المذكّرين, وتعليم المعلمين, والله المستعان, ورحم الله عمر بن عبدالعزيز الذي قال في زمانه : إني أعالج أمراً عسيراً, قد كَبُر عليه الصغير, وفَنِي عليه الكبير, وفَصُح عليه الأعجمي, وهاجر عليه الأعرابي حتى حسبوه ديناً لا يرون الحق غيره !

وهنا يأتي دور المسجد على رغم العوائق التي تحيط به في هذا الزمان, ولكنه يبقى منارة هدى تردُّ الشاردين عن الله إلى الجادة, يذكِّر فيه الغافل, ويُعَلَّم فيه الجاهل, ويتعرف المؤمن فيه على إخوانه الذين هم على شاكلته في الصلاح, فيستعين بهم على دينه ودنياه, ومما يروى عن الحسن البصري قوله : إخواننا خير لنا من أهلينا, لأنهم يذكروننا الآخرة بينما رؤية أهلنا تذكرنا الدنيا !

نعم أخي المسلم : إن كان في العيش لذة, فهو في صحبة صالحة في بيت من بيوت الله, في مجلس لا تسمع فيه لاغية, ﴿وَهُدُوا إِلَى الطَّيِّبِ مِنَ الْقَوْلِ﴾ سورة الحج هذا يرتل آية, وهذا يفسر حديثاً, وهذا يذكر فائدة, وهذا يرشد إلى كتاب نافع, وهذا يقول قرأت, وآخر يقول سمعت, هذه المجالس التي تزيد الإيمان, وتُغذّي الروح, وتُجِم الفؤاد, وتُنشّط الذهن, وتحث الفهم, وتفجر ينابيع الحكمة, فإذا قمت إلى صلاتك في هذا الجو الإيماني الفريد, صليت صلاة مودّع حقاً, خاشع القلب, مخبت الفؤاد, ولا يعرف المدارج إلا من درج !

قيل لحاتم الأصم : كيف صلاتك ؟ فقال : اسبغ الوضوء, ثم آتي المكان الذي أريد الصلاة فيه, فأجلس فيه حتى تجتمع إلي جوارحي, ثم أقوم بين يدي الله بين الرجاء والخوف, فأجعل كأن الكعبة بين حاجبيّ, والصراط تحت قدميّ, والجنة عن يميني, والنار عن شمالي, وملك الموت من ورائي, والله ناظرٌ إليّ, فأكبر تكبيراً بتحقيق, وأقرأ بترتيل, واركع ركوعاً بتواضع, واسجد سجوداً بتخشع, ثم اتبِعُها الإخلاص, ثم لا أدري بعد ذلك أقبلها الله فيّ أم ردها عليّ !!

أين أنا وأنت أخي المسلم من هذا ؟! وصلاتنا سهو, وذكرنا لهو, وحياتنا لغو ؟!

﴿كَلَّا ۖ بَلْ ۜ رَانَ عَلَىٰ قُلُوبِهِم مَّا كَانُوا يَكْسِبُونَ 14﴾ سورة المطففين,

(لو لا أن الشياطين يحومون حول قلوب بني آدم لنظروا إلى ملكوت السماوات والأرض), إن القلوب المشحونة بحب فضول الدنيا, والعيون الطامحة إلى

المحرمات, والآذان المستمعة إلى المنكرات, والجوارح المنشغلة بالسيئات, والهمم المنكفئة على الموبقات, لا يصفو لها حال مع الله عزوجل. (ألا إن سلعة الله غالية, ألا إن سلعة الله الجنة).

نعم, إن المسجد, وحياة المسجد, وصحبة المسجد, ودروس المسجد والصلاة في المسجد, لا يتركها مؤمن مُتبعٌ لسيد الخلق محمد صلى الله عليه وسلم إلا من عذرٍ شرعي يقبله الله في عليائه, واستفتِ قلبك. ﴿إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَاجِدَ اللَّهِ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَلَمْ يَخْشَ إِلَّا اللَّهَ ۖ فَعَسَىٰ أُولَٰئِكَ أَنْ يَكُونُوا مِنَ الْمُهْتَدِينَ﴿18﴾﴾ سورة التوبة

" إذا رأيتم رجلٌ يعتاد المساجد فاشهدوا له بالإيمان ", إن المسجد في حياة الأمة الإسلامية هو آخر المعاقل, و إن توحيد الله – عزوجل -, ووحدة المسلمين والمساواة بينهم, والأخوة الإسلامية الصادقة, لتتجلى في المسجد بأبهى صورها, ولو خرجت هذه المفاهيم وطُبقت هذه التعاليم خارج المسجد كما كانت في سِنِيّ الإسلام الأولى لرأيت الأمة تسير في طريق عزتها وكرامتها ! ولكن تظاهر عليه أعداء الله من الكافرين والمنافقين حتى حصروا الدين داخل جدران المسجد, بل وعبثوا به حتى داخل المسجد, وصدق الله العظيم إذ يقول : ﴿ وَيُرِيدُ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الشَّهَوَاتِ أَنْ تَمِيلُوا مَيْلًا عَظِيمًا﴿27﴾﴾ سورة النساء .

إنه ينقم على الكافرين كفرهم, وعلى المنافقين نفاقهم, وعلى المنحرفين انحرافهم, وعلى الفجرة فجورهم, إنه صراط مستقيم بين سبلٍ ملتوية كثيرة. ﴿ فَمَاذَا بَعْدَ الْحَقِّ إِلَّا الضَّلَالُ ﴾ سورة يونس

إن الإسلام كما قال ذلك الأعرابي : لم يُحلّ شيئاً فقال العقل ليته حرّمه, ولا حرّم شيئاً فقال العقل ليته أحلّه !

" فطرة الله التي فطر الناس عليها " فعجباً لاجتهاد أهل الباطل في باطلهم, وقعود المسلمين عن حقهم ! ويا له من دين لو كان له رجال !

عقيدته واضحة, وشريعته كاملة, ومنهاجه مستقيم, وتعاليمه سامية.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ادْخُلُوا فِي السِّلْمِ كَافَّةً وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ ۚ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ 208﴾ سورة البقرة.

(قل آمنت بالله ثم استقم), لا تراوغ مراوغة الثعالب, فتؤمن ببعض الكتاب وتكفر ببعض, إنك لن تطمئن في إيمانك ما لم تستقم على أمر ربك, وتخرج حظ نفسك وهواك. " ثَلاَثٌ مَنْ كُنَّ فِيهِ وَجَدَ حَلاَوَةَ الإِيمَانِ: أَنْ يَكُونَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِمَّا سِوَاهُمَا، وَأَنْ يُحِبَّ المَرْءَ لاَ يُحِبُّهُ إِلَّا لِلَّهِ، وَأَنْ يَكْرَهَ أَنْ يَعُودَ فِي الكُفْرِ كَمَا يَكْرَهُ أَنْ يُقْذَفَ فِي النَّارِ", فهل أمر الله مقدم عندك على كل أمر ؟ و إن خالف هواك وما نشأت عليه, وهل تراجع نفسك قبل قولك وفعلك أين أنا من رضوان الله أو سخطه ؟! يا ليتنا نصل إلى هذه الدرجة من المراقبة والمحاسبة والهيبة.

﴿الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ﴾ سورة الحج.

(لا يؤمن أحدكم حتى يكون هواه تبعاً لما جئت به) والثانية أن يكون حبك وبغضك, ورضاك وسخطك, ومنعك وعطائك, وانقباضك وانبساطك وحياتك لله وبالله وفي الله !

﴿يَوْمَ لَا يَنْفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ88 إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ89﴾ سورة الشعراء, (من أرضى الله بسخط الناس رضي الله عنه وأرضى عنه الناس, ومن أسخط الله برضى الناس سَخط الله عليه وأسخط عليه الناس), والثالثة : كره الكفر والنفاق والانحراف, والاعتزاز بالإيمان والحذر من الكبر والعجب, واليقين بأن العزة لله ولرسوله وللمؤمنين, والإنتماء الصادق لله ولأوليائه المؤمنين, والإعراض عن أهل الزيغ والنفاق, فإن المؤمن يأنس به كل مُحق, ويستوحش منه كل مُبطل. (والمؤمن إلف مألوف ولا خير فيمن لا يألف ولا يُؤلف) وقل كما قال أحد الأئمة: لئن أكون ذيلاً في الحق أحب إلي من أن أكون رأساً في الباطل !

هذا الصدق في التوجه إلى الله تعالى, وهذا النور الإلهي, والفيض الرحماني, لا تجده إلا في المسجد, فكن من روّاده واعلم أنه لا يتهاون في ذلك إلا محروم ولا يصدّ عنه إلا مشؤوم, فإنه الحصن الحصين بإذن رب العالمين, من لوثة العولمة, وفجور الإعلام, وانحراف المناهج, ومرض النفوس, وعري العراة, وطغيان الطغاة ﴿ وَمَنْ يُهِنِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ مُكْرِمٍ ﴾ سورة الحج.

إن المخبتين في محراب العبودية لله رب العالمين ﴿فِي بُيُوتٍ أَذِنَ اللَّهُ أَنْ تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ يُسَبِّحُ لَهُ فِيهَا بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ36 رِجَالٌ لَا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَإِقَامِ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ ۙ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَالْأَبْصَارُ37﴾ سورة النور.

هل تعلم أخي المسلم أن هؤلاء هم أسعد الناس في هذه الدنيا. ﴿وَهُدُوا إِلَى الطَّيِّبِ مِنَ الْقَوْلِ وَهُدُوا إِلَىٰ صِرَاطِ الْحَمِيدِ24﴾ سورة الحج.

إنهم يرون أنهم طفيليون على نعم الله في هذه الدنيا, فالنعمة تعظم عندهم مهما قلّت. حتى ولو أصابهم ما أصاب الناس من البلاء.

﴿ وَمَنْ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُ ۚ ﴾ سورة التغابن

فيقول : رب إن أفقرتني فقد عافيتني, و إن أمرضتني فقد هديتني, و إن حرمتني الولد فقد حصنتني بالحلال, و إن أخذت مني ولداً فقد أبقيت آخرين, و إن أخذت مني طرفاً فقد أبقيت لي أطرافاً, و إن ابتليتني فقد أجزلت مثوبتي إذا صبرت واحتسبت, فلله الفضل والمنة. (فلله ما أخذ وله ما أعطى وكل شيء عنده بأجل مسمى) (واعلم أن ما أصابك لم يكن ليخطئك, وما أخطأك لم يكن ليصيبك) وكل يوم يمر من بؤس البائسين, هو كذلك ينقص من نعيم المتنعمين !

(فانظر إلى من هو دونك ولا تنظر إلى من هو فوقك فإنه أجدر ألا تزدري نعمة الله عليك) فإن حصلت لك العافية فهناك من هو على سرير الشفاء, و إن كنت مريضاً

فهناك من هو سجين, و إن كنت محبوساً فهناك من هو في العزل الانفرادي, و إن كنت معزولاً فهناك من هو في القبر قد اختطفه الموت وأُعطيتَ فسحة للتوبة والإنابة ! أُبتعث أحد الشباب النابهين إلى دولة أجنبية لدراسة تخصص ما, فلما قضى المدة ولم يبقَ إلا أياماً معدودة للامتحان النهائي ثم يعود إلى وطنه, فذهب ليقضي أسبوعاً من الراحة والاستعداد للامتحان عند زملائه في مكان آخر.

فلما قضى الأسبوع وحزم متاعه وعاد إلى الميناء ليركب الباخرة التي تُقله إلى مكان الدراسة,أعجبته وردة على رصيف الميناء فتناولها, وما لبث أن تناولته الشرطة وذهبوا به ليقضي يوماً في السجن عقوبة له على ما صنع, وأُغلق الباب على المسكين المذهول من هول الصدمة, فقد تأخر عن الامتحان ولا بد أن يقضي عاماً آخر أو عامين ليحصل على موعدٍ جديد للامتحان. كم يكون الواحد منا ضعيفاً ومسكيناً ومحدوداً في مثل هذه المواقف !

ولكن.. ما أن أبحرت الباخرة المعهودة حتى صدمتها موجة عاتية أودت بكل من عليها وما عليها ! وأُطلق صاحبنا في اليوم التالي ليعود إلى الميناء, و إذا بالناس يهنئونه بالسلامة إذ أنه الناجي الوحيد من هذه الكارثة !

و إذا بصاحبنا يحمد الله من كل قلبه على التقدير العجيب, و إذا بليلة السجن وسنوات الدراسة التي طالت نعمة عظيمة أمام فقد الحياة, مع الاحترام الكامل لحياة الآخرين ولكن قدّر الله وما شاء فعل.

وهذا بابٌ عظيم من أبواب حكمة الله البالغة في تصرفه في خلقه, فكم من الأمور التي نكرهها, ويكون الخير كل الخير فيها ولا ندرك ذلك إلا بعد حين, هذا إذا أدركناه! ﴿وَعَسَىٰ أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ ۖ وَعَسَىٰ أَنْ تُحِبُّوا شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَكُمْ ۗ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ 216﴾ سورة البقرة

كم هو جميل بالمؤمن أن يكون راضٍ عن ربه وعن قدره فيه, فالخيرةُ فيما اختاره الله, لأنه واقعٌ ولا بد, فمن رضي فله الرضى ومن سخط فله السخط ! ولكن الغالب أن العبد يرضى عن ربه فيما يحب ويرى في نفسه أنه أهلٌ لذلك الفضل وأكثر منه, ولكنه لا يرضى عن ربه فيما يكره وقد يُسمع, أو يُشتم من فعله, أو يظن نفسه أنه مظلوم وأن الأمر لا يتم عن حكمة – نسأل الله العافية- أو أن هناك عشوائية في هذا الأمر, فتجد البائس حسيراً كسيراً متسخطاً والله المستعان.

قيل إنّ أحد الأئمة كان يركب دابته مارّاً بسوق من الأسواق فألقى بعض الناس – دون قصد – رماداً من داره, فوقع الرماد على رأس الشيخ وملابسه ! فنزل الشيخ عن دابته وسجد لله سجدة شكر ! فقال له الناس ما هذا ؟ فقال : إنّ الذي استحق النار فصولح بالرماد لجدير بأن يسجد لله شكراً !

هكذا أخي المسلم يجب أن نظن بأنفسنا, وهذا هو واقع الحال, أوجدك من عدم وأمدّك بالنعم, فإن ذُكّرت فبنعمته, و إن صليت فبهدايته, و إن صُمتَ فبتوفيقه, وقس على

ذلك فالكل منه و إليه, وكل ما عملت ومهما عملت محكوم عليه بنصف آية ﴿ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ27 ﴾ سورة المائدة.

فما هو والله إلا محض الفضل﴿ وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ46 ﴾ سورة فصلت.

أنا الفقير إلى رب البريّاتي ... أنا المسكين في مجموع حالاتي
أنا الظلوم لنفسي وهي ظالمتي ... والخير إن يأتينا من عنده يأتي
لا أستطيع لنفسي جلب منفعة ... ولا عن النفس لي دفع المضراتي
فالفقر لي وصف ذات لازم أبدا ... كما الغنى أبداً وصف له ذاتي
وهذه الحال حال الخلق أجمعهم ... وكلهم عنده عبد له ياتي

ومن هنا تنشأ المحبة لله والرضا بقضائه, فلا يجعلك في مكانة إلا وترى أنك دونها, ولولا فضله ورحمته لما كنت فيها, ولو عشنا ما كتب الله لنا بناءً على هذه النظرة لعشنا سعداء حقاً وانخفضت نسبة السكر العالية عندنا, وانضبط ضغط دمنا, ولحاصرنا قرحة المعدة المنتشرة بيننا, وأغلقت عيادات الأمراض النفسية في مجتمعنا.

فكل واحدٍ منا غارق في نعم الله التي لا تعد ولا تحصى, ومع ذلك يطلب المزيد, يطلب المفقود, وهو لم يُؤدّ شكر الموجود !

افتقر أحد الصالحين حتى لم يجد حذاء يلبسه كي يذهب إلى المسجد, ووسوس له الشيطان بأن هذا حالك مع صلاحك وغيرك دونك في العمل ويرفل في زخرف الدنيا ! وكاد أن يصرفه عن نيته, ولو لا أن تداركته رحمة ربه فذهب حافياً إلى المسجد على ما في النفس من الوسواس الخناس.

وكانت المفاجئة المذهلة عندما رأى رجلاً واحداً سبقه إلى المسجد, وكان هذا الرجل معاقاً من كلتا رجليه !!!

فكم كانت هذه العبرة برهاناً صارخاً في حياة صاحبنا, أنا على يقين بأن الواحد منا مستعد أن يقضي بقية عمره حافياً على أن يفقد قدميه ! مع تواضعنا لصبر إخواننا المعاقين ! فإن لهم أجرهم عند ربهم ما صبروا واحتسبوا.

أخي المسلم إن هذا غيض من فيض مما تتعلمه في المسجد على يد الدعاة الوعاة, الذين ليس بين قولهم وفعلهم انفصام, بل يعملون ما يعملون, ويستغفرون الله من تقصيرهم, لأنهم على يقين من قصور المخلوق في شكر نعمة الخالق وعبادته حق عبادته.

(فضل العالم على العابد كفضل القمر على سائر الكواكب).

(... وأهل السماوات وأهل الأرض حتى النملة في جحرها وحتى الحيتان في الماء لتستغفر لمعلمي الناس الخير) وآباءك ثلاثة : أبٌ ولَدَك, وأبٌ زوّجك, وأبٌ دلّك على الله عزوجل, أعظمهم منّة عليك الذي دلّك على الله تعالى !

نعم, إنّ كل قيم الحياة المادية والمعنوية هي أصفار لا يكون لها قيمة إلا إذا خط بجوارها واحدٌ صحيح, وهو هنا معرفة الله والاستقامة على أمره, عندها تصبح هذه القيم منازل عشرات ومئات وألوف وما لا نهاية !

فإياك أن تستهلكك الدنيا فتمضي حياتك في طلب لذتها وزخرفها ورياشها وشهواتها, ويفوتك ألذّ وأعظم ما فيها وهي معرفة الله والاستقامة على أمره.

في المجتمعات المتفلتة التي لا يضبط غرائزها ضابط من دين و إنسانية مستقيمة, أكلوا وشربوا ما جلب الأمراض وغيّب العقول, نكحوا ما حل وما حرّم حتى أفضوا إلى الشذوذ فقننوه بلا رادع ولا مانع, لبسوا ثم خلعوا وساروا عراة في الشوارع دون خجلٍ أو وجل, تفننوا في صنع الدمار والخراب والنفاق حتى استقال الشيطان من وظيفته !

فماذا بعد ؟! لا شيء إلا الكآبة, والأمراض النفسية والعصبية, والإفلاس الخُلُقِي والفكري, ثم الانتحار الذي يبدو عندهم العلاج الشافي !

كفى بك داءً أن ترى الموت شافياً وحَسْبُ المَنايا أن تكون أمانيا

هل سُعدوا بشهواتهم ؟! هل وصلوا إلى الطمأنينة بمقدراتهم وطغيانهم وانحرافهم ؟! إنهم فقدوا عنصر السعادة والطمأنينة ﴿ أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ28﴾ سورة الرعد.

قال الملك للوزير : من الملك ؟! فردّ الوزير مدهوشاً : أنت ! قال : بل الملك رجل لا يعرفنا ولا نعرفه, له بيت يؤويه, وزوجة ترضيه, ورزق يكفيه, لأنه لو عرفنا اجتهد في إرضائنا, و إن عرفناه اجتهدنا في إذلاله !

رب أشعث أغبر ذو طريق لا يؤبه به, مدفوع بالأبواب, مستقيم على أمر ربه, راضٍ بما قسّم الله, هو أسعد من كثير من الذين يملكون الرقاب والقباب والرياش, قال إبراهيم بن أدهم : (لو يعلم الملوك وأبناء الملوك ما نحن فيه من السعادة لجالدونا عليه بالسيوف).

والمؤمن يجعل الدنيا حيث جعلها خالقها, فهي عنده قنطرة للعبور إلى الدار الآخرة, وهي دار ممر وليست دار مقر, والفرح بها حتى نسيان الآخرة ضرب من الجنون, حتى ولو ملكها بيده وسلطانه, فإنها لا تسكن قلبه, لأنه يعلم أن عزيزها يُذَلّ, وكثيرها يَقل, وجديدها يبلى, وزخرفها يفنى, يكفي أن الموت فيها ينهي كل شيء فلا يطمئن لها إلا غافل, ولا يركن لها إلّا جاهل.

رُبّ قومٍ قد غدوا في نعمة زمناً والدهر ريان غدق

سكت الدهر زماناً عنهمو ثم أبكاهم دماً حين نطق !!!

هل تعلم أن كل ما في الدنيا من خير وشر, وعافية ومصيبة, وغنى وفقر, وعطاء ومنع, وظهور وخمول هو ابتلاء من الله لعباده ليبلوهم أيهم أحسن عملا.

" عجباً لأمرِ المؤمن, إن أمره كله له خير, إن أصابته سراء شكر فكان خيراً له, و إن أصابته ضراء صبر فكان خيراً له, وليس ذلك إلا للمؤمن ".

ألا ترى إلى نبي الله سليمان – عليه السلام – الذي وهبه الله ملكاً لا ينبغي لأحدٍ من بعده. فلما رأى عرش بلقيس بين يديه قال : ﴿قَالَ الَّذِي عِنْدَهُ عِلْمٌ مِنَ الْكِتَابِ أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ ۚ فَلَمَّا رَآهُ مُسْتَقِرًّا عِنْدَهُ قَالَ هَٰذَا مِنْ فَضْلِ رَبِّي لِيَبْلُوَنِي أَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ ۖ وَمَنْ شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ ۖ وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّي غَنِيٌّ كَرِيمٌ ﴿40﴾﴾ سورة النمل.

فإذا بلغت هذه الدرجة من الإيمان, فعند ذلك سترى بكل وضوح على مرآة القلب الصافية خطرات الشيطان وكيده ووساوسه.

أما الذي غلب على قلبه ران الغفلة والمعصية فنجد أنه يرتكب الموبقات, ولا يشعر بشيء بل ويقول لناصحه : " وماذا صنعت ؟! كل الناس يفعلون مثلي وأكثر مني " جرأةً واستخفافاً ! هذا الصنف من الناس امتطاه شيطانه وألجمه وزنقه. فتجد أنه معنقٌ في الشر , عَثور في الخير, فصيح في الباطل, عيي في الحق ! والله المستعان.

أما المؤمن الواعي فإنه يحرس ثغور قلبه من الشيطان, ويدرك أن هذا العدو أقسم يوماً من الدهر فقال : ﴿قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ82إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ83﴾ سورة ص فهو يُجهد نفسه أن يكون من هذه الطائفة المُخلِصة والمُخلَصة.

واعلم أخي المسلم أن أول باب يطرقه الشيطان هو باب الكفر, فإن أسلمت ووحدت الله تعالى, وأيقنت أنه الحق وأن الأمر لا يحتاج إلى دليل أو برهان بل الحق أبلج .

ولا يصح في الإذهان شيء إذا احتاج النهى إلى دليل

فإن الخبيث يأتيك من باب الشرك فيُزيّن لك التهاون بأوامر الله ونواهيه. فتقدم عليها آراء المخلوقين , وعقائدهم الباطلة, وعاداتهم وتقاليدهم بل وأهوائهم. حتى يكون في نفسك آلهة من دون الله. ﴿أَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَٰهَهُ هَوَاهُ﴾ سورة الفرقان. إله الهوى, إله المال, إله السلطان, إله الجاه وهكذا إذا قدّمت ما يرضي هواك على ما يُرضي الله سبحانه وتعالى وقعت في نوع من أنواع الشرك شئت أم أبيت !

تلا رسول الله صلى الله عليه وسلم قوله تعالى : ﴿اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ وَالْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا إِلَٰهًا وَاحِدًا ۖ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۚ سُبْحَانَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ31﴾ سورة التوبة فقال عُديّ بن حاتم : يا رسول الله لم يتخذوهم أرباباً من دون الله ! فقال صلى الله عليه وسلم : ألم يُحلوا لهم الحرام ويُحرّموا عليهم الحلال فأطاعوهم ؟! قال : بلى يا رسول الله قال : فتلك عبادتهم إياهم !

﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَتَّخِذُ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَنْدَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ ۖ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِلَّهِ ۗ وَلَوْ يَرَى الَّذِينَ ظَلَمُوا إِذْ يَرَوْنَ الْعَذَابَ أَنَّ الْقُوَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا وَأَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعَذَابِ165﴾ سورة البقرة.

إن هناك من المسلمين من يغالي في تقديس البشر والحجر وربما بعض الأمكنة والأزمنة أكثر مما يحرص على كتاب الله الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه. قد يكون حسن النية, ولكن هذه فزلة قدم.

فإن فطنت لهذا الباب فأغلقته, فإنه سيأتيك من باب ملاصق له تماماً وهو باب البدعة ! فيزين لك الزيادة والغلو في أمر قد يكون من الفروع, وهناك من يبلغ به الشطح إلى الأصول المعلومة من الدين بالضرورة.

أو أن تتهاون بأمرٍ مهم فتُقدّم عليه ما دونه في الأهمية, وكم تعاني الأمة اليوم من ترتيب أولوياتها ! حتى وصل البعض إلى ما سمّاه عمر بن الخطاب رضي الله عنه (الورع الكاذب) : " يُقال إن أهل العراق جاؤوا يستفتون ابن عمر رضي الله عنهما عن دم البراغيث إذا مسّ الثياب... فقال : يا عجباً لكم يا أهل العراق ! استبحتم دم ابن بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم وتسألون عن دم البراغيث ! "

إن تعاليم الدين مثل سؤال في الامتحان له عدة فروع, وهناك علامة كاملة محددة, وهذه الفروع مُحدد لكل فرع ما يناسبه من العلامة من اللجنة المُشرفة, فهل يستطيع المتقدم للامتحان أن يزيد أو يُنقص هذه النسب التي حددتها اللجنة ؟! هل له أن يجتهد

ويستعد في بعض الفروع ويترك الأخرى ويقول إنه سيحصل على العلامة الكاملة؟! ولله المثل الأعلى, ولكن الإنسان الظلوم الجهول أحياناً يتجاوز طوره ويقترح على ربه الذي أكمل دينه منذ بضعة عشر قرناً, وامتحن عباده فيما أمر أو نهى, وحتى فيما سكت عنه ﴿ ولكن أكثر الناس لا يعلمون ﴾ بل لا يستحون !!!

فالبدعة في الدين تجمع بين الجهل والانحراف, والجرأة والوقاحة, والمؤمن يسعه ما وسع رسول الله صلى الله عليه وسلم وصحابته الكرام الذين رضي الله عنهم ورضوا عنه.

فإن وقاك الله شره من هذا الباب, فسيطرق عليك باب الكبائر , وعندما ذُكرت السبع الموبقات إلى ابن عباس رضي الله عنه قال : هي إلى السبعين أقرب!

نعم فكل ذنب توعّد الله عليه بالنار أو باللعنة أو بالغضب أو بالعذاب أو العقاب فهو كبيرة من الكبائر.

وهناك من يتأول بالتوحيد, والشفاعة وغير ذلك من التأويلات والمبررات فيرتكب الكبائر ثم يُسوّف التوبة ويُزيّن له شيطانه طول الأمل وأنه سيتوب في آخر العمر, وسيحج ويعود من ذنوبه كيوم ولدته أمه, وأنه مغفور له, أو مشفوع له, ونسي المسكين أن الموت كرب بيد سواك لا تدري متى يغشاك !

وكأني بالداعِ قد يبكي عليه اقربوه

وكأن القومِ قد قاموا فقالوا ادركوه

سائلوه كلموه... حركوه لقنوه

حرفوه وجهوه... مددوه غمضوه

عجلوه لرحيل... عجلوا لا تحبسوه

ارفعوه غسلوه... كفنوه حنطوه..

فإذا ما لُفّ في الأكفان قالوا فاحملوه..

أخرجوه فوق أعواد المنايا شيعوه...

فإذا صلوا عليه قيل هاتوا واقبروه !

فإذا ما استودعوه الأرض رهنا تركوه..

خلفوه تحت رمس أوقروه وأثقلوه...

أبعدوه اسحقوه أو حدوه وأفردوه..

ودعوه فارتموه..أسلموه خلفوه..

وانثنوا عنه وخلّوه كأنّ لم يعرفوه !!

إن الحماقة والغباء والجهالة والإفلاس من الخير نصيب كل من يغفل عن هذه الساعة, واجعل الموت نصب عينيك واحذر غولة الدهر فإن للدهور غولاً !

فإن عجز عنك الشيطان من هذا الباب فسيأتيك من باب الصغائر والتهاون بارتكابها والإصرار على الصغائر ينقلها إلى دائرة الكبائر, ولا تنظر إلى صغر ما فعلت ولكن انظر إلى عظمة من عصيت وعلى من اجترأت !!! (و إياكم ومحقرات الذنوب فإنهن يجتمعن على الرجل حتى يهلكنه)... يقول أنس رضي الله عنه لجيل التابعين : " إنكم لتعملون أعمالاً هي أدق في أعينكم من الشعر كنا نعدها في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم من الموبقات " !

فما بالك أخي المسلم بأمثالنا في هذا الزمان ؟!

لا شك أننا كما قال الأول : " إذا ذُكرت أحوال السلف اُفتضحنا كلنا " ! ولكن لئن تقع في الذنب ثم تُقلع وتندم وتستغفر وترد الحقوق إلى أصحابها, خيرٌ لك من التهاون بالمخالفة بل والإصرار عليها حتى تألفها فتجد أنك لا تستغفر منها ولا تفكر في الإقلاع عنها والتوبة منها وهذا من أعراض موت القلب.

إنك لو دخلت بيت أحد الكبراء فإنك لا تتهاون بأية مخالفة مهما دقت وصغرت, وتجدك متحفزاً ملتزماً بأدب القول والفعل والحركة والسكنة, ولله المثل الأعلى, فما بالك بجبار السماوات والأرض الذي يعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور !

ألا تخشى أن يراك على مخالفة مُصرّاً عليها فيمقتك فتسقط من عينه سقطة لا تُجبر بعدها أبداً !

ألا ترى إلى نبيك محمد صلى الله عليه وسلم في أحلك الظروف وأشد الساعات عندما رجع من الطائف مُطارداً من سفهاء أهلها ومع ذلك يقول في أثناء دعاء طويل "... أعوذ بنور وجهك الذي أشرقت له الظلمات, وصلح عليه أمر الدنيا والآخرة, من أن ينزل بي غضبك أو يحل عليّ سخطك لك العتبى حتى ترضى..."

ثم ماذا ؟!

هل تظن أن الشيطان سيتركك إذا أغلقت دونه هذا الباب ؟ لا يا أخي ! بل سيأتيك من باب المباحات, والتوسع في كل شيء في المأكل والملبس والمسكن والمركوب, وأنواع الدخل, والاستغراق في فضول الدنيا, وكلّما ذكّرك مُذكّر, أو وعظك واعظ بادرته قائلاً : هل هذا حرام ؟! فيقول : بل مباح ولكن.... فتقول : إذن لا ضير.. وهذا باب واسع يدخل منه الشيطان على العبد...فيتبختر في المال, وتستهلكه فضول الدنيا, فوقته مشغول, وصلاته متأخرة, وحظه من الذكر قليل, ولا يدخل المسجد إلا يوم الجمعة – هذا إن لم يخرج في فسحة – وصيامه مباهاة بتشكيل الموائد.. يُحدثك الساعات الطوال عن زخرفة داره, وحديقة منزله, وموقع مكتبه, وتكلفة سيارته, وأنواع تجاراته, وسعة عقاراته, وكثرة معارفه... إلخ.

ولا يستطيع المسكين أن يحدثك دقائق معدودة عن الله عزوجل, أو عن رسوله صلى الله عليه وسلم أو عن أمة الإسلام والمستضعفين منها في مشارق الأرض ومغاربها, فإذا ذكرت له مثل هذه الأمور تثاءب وتمطى وأظهر لك السأم والملل!

نسي المسكين أن من لم يهتم بأمر المسلمين فليس منهم, و(أن في المال حقاً سوى الزكاة) وأنه : (ما آمن بي من بات شبعان وجاره جائع إلى جنبه وهو يعلم). وأن المال عليه سؤال من أين اكتسبته وآخر أين أنفقته, ولو أنه جعل فضول أمواله وأوقاته فيما ينفع الأمة لكان خيراً له في الدنيا والآخرة.

هناك في أمة الإسلام وقد يكون قريباً منك : الأيتام, والأرامل, ومن فقد المعيل, والشباب الذين لا يملكون مصاريف التعلم, أو الذين يبغون العفاف ولكن لا يقدرون على تكاليف الزواج وهناك وهناك.

إن دين الإسلام دين جماعي,فكن عضواً نافعاً صالحاً مُصلحاً, ومن أراد السعادة الحقيقية فليُدخل السعادة على قلب مؤمن فإن ذلك من أجلّ الاعمال وأعظمها عند الله عزوجل.

أحسن إلى الناس تستعبد قلوبهم   فطالما استعبد الإنسان إحسان

يروى أن رجلاً جاء إلى الإمام علي رضي الله عنه فقال : إني اشتريت أرضاً وأريد أن تكتب لي العقد بيديك, فنظر إليه الإمام, فرأى ببصيرة المؤمن أن الدنيا قد تربعت على قلبه فكتب مُذكّراً له بعد حمد الله والثناء عليه : اشترى ميّت من ميّت أرضاً في بلد المذنبين, وسكة الهالكين, حدها الأول يؤدي إلى الموت وحدها الثاني يؤدي إلى القبر, وحدها الثالث يؤدي إلى الحساب, وحدها الرابع يؤدي إلى الجنة أو النار ! فبُهِت الرجل وعلم أن الإمام أراد أن يعظه ويوقظ قلبه لما رأى فيه من الغفلة والوله على حطام الدنيا.

النفس تبكي على الدنيا وقد علمت   أن السلامة فيها ترك ما فيها
لا دار للمرء بعد الموت يسكنها   إلا التي كان قبل الموت يبنيها
فإن بناها بخير طاب مسكنه   و إن بناها بشر خاب بانيها
أين الملوك التي كانت سلطنة   حتى سقاها بكأس الموت ساقيها
كم من مدائن في الآفاق قد بُنيت   أمست خراباً وأفنى الموت أهليها
أموالنا لذوي الميراث نجمعها   ودورنا لخراب الدهر نبنيها
من يشتري الدار في الفردوس يعمرها   بركعة في ظلام الليل يُحييها

لا شك أن المال قوة للأمة, ونعم المال الصالح للرجل الصالح, ولكن فتنة الغنى أعظم وأشد من فتنة الفقر, إن الفراغ والشباب والجِدَة – مفسدة للمرء أي مفسدة – والمؤمن الحذر المتورع يجعل بينه وبين الحرام شيء من المباح ولا يستقصي, ومن حام حول

الحمى أوشك أن يرتع فيه, إن حيازة الدنيا وشهواتها يورثك حبها, فإذا سكنت سويداء قلبك, كرهت الانتقال عنها وكرهت من يُذكرك بالانتقال عنها. وكان قد !!!

فإن فطنت وحذرت أتاك الخبيث من باب يُصوره لك أنه باب خير وهو باب الإفلاس, إنه باب التحريش بين المؤمنين, فيزين لك أنك وحيد عصرك, وفريد مصرك, وحبر الأمة, وغياث الملة, وأنك قد حويت علم الأولين والآخرين, فتنظر إلى علماء الأمة ودعاتها وجماعاتها من علو. فذاك العالم مفرّط, وآخر مُتنطع, وثالث مبتدع, ورابع منسلخ من آيات الله, والجماعة الفلانية لن تفلح, والحزب الآخر مُتهَم.

يُروى عن عمر ابن عبد العزيز أنه رُفع إليه رجل مُغتاب, فقال له عمر : هل قاتلت الروم ؟ قال : لا. قال : قاتلت الترك ؟ قال: لا. قال : هل قاتلت العجم ؟ قال : لا. فقال عمر : الله أكبر, سلم منك كل هؤلاء ولم يسلم منك أخوك المسلم ؟!

وصاحبنا سلم منه اليهود والنصارى والمجوس والذين أشركوا والذين نافقوا, والذين ارتدّوا, ولم يسلم منه المسلم الذي يجتهد ويجاهد لإصلاح حال الأمة.

ليس معنى هذا أن الدعاة والدعوات معصومون من الخطأ والزلل, فكل بني آدم خطاء وخير الخطائين التوابون, ولكن أين النصيحة لله ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم ؟ أين النصيحة المستترة التي يراد بها وجه الله الذي يراك حين تقوم ؟!

﴿قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُمْ بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا ﴿103﴾ الَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا ﴿104﴾﴾ سورة الكهف, «أَتَدْرُونَ مَا الْمُفْلِسُ؟»

قَالُوا: الْمُفْلِسُ فِينَا مَنْ لَا دِرْهَمَ لَهُ وَلَا مَتَاعَ، فَقَالَ: «إِنَّ الْمُفْلِسَ مِنْ أُمَّتِي يَأْتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِصَلَاةٍ، وَصِيَامٍ، وَزَكَاةٍ، وَيَأْتِي قَدْ شَتَمَ هَذَا، وَقَذَفَ هَذَا، وَأَكَلَ مَالَ هَذَا، وَسَفَكَ دَمَ هَذَا،

وَضَرَبَ هَذَا، فَيُعْطَى هَذَا مِنْ حَسَنَاتِهِ، وَهَذَا مِنْ حَسَنَاتِهِ، فَإِنْ فَنِيَتْ حَسَنَاتُهُ قَبْلَ أَنْ يُقْضَى مَا عَلَيْهِ أُخِذَ مِنْ خَطَايَاهُمْ فَطُرِحَتْ عَلَيْهِ، ثُمَّ طُرِحَ فِي النَّارِ» مسلم.

إن إصلاح الحال يحتاج إلى تكاتف ونية صالحة كنيّة قومٍ أخيار , قاموا يصلون جماعة, فالكل مجتهد أن ترفع صلاتهم إلى ربهم صحيحةً متقبلة.

فالغيبة بين الدعاة والدعوات, والهمز واللمز , والهجاء المُقذع , والسباب والشتائم, لا يليق بمؤمن. (فما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم بالطعان ولا اللعان ولا الفاحش ولا البذيء) والعدو المتربص لن يرحم ساعياً ولا قاعداً, ولا متكلماً ولا صامتاً, وسفينتنا واحدة, لا ينبغي لأحد أن يسعى في خرقها, وكلٌّ مسؤول قدر استطاعته وموقعه, وإن من الرعونة التعالي على إخوانك المسلمين الملتزمين ورصد أخطائهم, وإحصاء عيوبهم التي لا يكاد يسلم منها أحد, واستبدال النصيحة بالفضيحة, وتشتيت الأمة, وتبديد الجهود والأوقات في الكر والفر على معسكر الدعاة !

بينما الأعداء يوزعون بلاد المسلمين شرقاً وغرباً, وشباب الأمة يتناطحون تناطح " التيوس " على من فاز من الفرق الرياضية العالمية, ويحفظون أسماء اللاعبين

والمغنيين, والممثلين ولا يستطيع كثير منهم أن يرتب تسلسل الخلفاء الراشدين الأربعة ! ومناهج التعليم تعاني ما تعاني من العبث والتغريب والتنكر لدين الأمة وتاريخها ودورها, والإعلام الظاهر والباطن يدعو بوعي أو بغير وعي إلى استباحة الحر والحرير والخمر والمعازف, والعري وانهيار الأسر.

واقتصاد الأمة جُلّه يقوم على أساس الربا, والتبعية لاقتصاد الأعداء الذين لا يرقبون في مؤمن إلاً ولا ذمة, فنحن مجتمعات استهلاكية على كل المستويات, وغير ذلك كثير مما لم أذكره من التردي, ولا يُستثنى من ذلك إلا القليل, وهذا القليل لا يُرجى له النجاح ولا يُحَبّذ من الذين في سكرتهم يعمهون.

فكل مصلح بين يديه مجال رحب, والأمة بحاجة الجميع, بحاجة إلى علم العالم, وصناعة الصانع, ومال الغني, وحيوية الشاب, وخبرة الشيخ المسن, وصلاح المرأة, وقبل ذلك وبعده استنزال عناية الله وتوفيقه بطاعته والاستقامة على أمره, فإن البلاء كل البلاء العمل بمعصية الله في زمن البلاء.

فما نزلت مصيبة إلا بذنب, وما ارتفع بلاء إلا بتوبة, ﴿وَمَا أَصَابَكُمْ مِنْ مُصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُو عَنْ كَثِيرٍ 30﴾ سورة الشورى.

وعلى أقل تقدير فإن في نفسك لشغلا , وفي عيبك ما يلهي عن عيوب الناس, واعلم أن زكاة الصلاح الإصلاح , فإذا لم تكن من أهل الإصلاح فإن هذا يدل على أن صلاحك لم يبلغ النصاب بعد! فإذا يئس منك الشيطان, أمرك بالكفر فأسلمت,

وأمرك بالشرك فوحدت, أغراك بالبدعة فاستننت وبتعاليم نبيك صلى الله عليه وسلم التزمت, أمرك بالكبائر فامتنعت, زيّن لك الصغائر فحذرت واستغفرت, هيّأ لك المباحات فتحفظت وتورعت, زيّن لك البغي على إخوانك ونقدهم فاتقيت الله وبحبله اعتصمت.

فالآن استعد لآخر ما في جعبته, الآن استعد للبلاء, إنه سيغري بك أولياءه شياطين الإنس والجن, سيجعل منك هدفا لسهام كل من تولاه, يشتمك الشاتمون, وينتقدك الناقدون, وقد يضربك الضاربون, ويهينك المتغطرسون, وقد يسجنك المتنفذون, وقد يغتالك الذين هم لحكم الله منكرون ﴿ وَالْعَصْرِ1 إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ2 إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ3 ﴾ سورة العصر.

وهنا تبدأ الغربة, فطوبى للغرباء, وهنا يكون القرآن مؤنساً ومثبتاً, ومُفحماً للطغاة والبغاة, فتزود منه ما استطعت, فإنه نعم الزاد في الدنيا والآخرة, فلا تبغ به بدلاً.

قد يستغرب بعض سليمي الصدور هذا الكلام, ويظنون أن المؤمن الحق محبوب من كل الناس, وأنا أقول نعم المؤمن مألوف عند أهل الحق, ولكنه مدان من أهل الباطل ﴿فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلَّا أَنْ قَالُوا أَخْرِجُوا آلَ لُوطٍ مِنْ قَرْيَتِكُمْ ۖ إِنَّهُمْ أُنَاسٌ يَتَطَهَّرُونَ56 ﴾ سورة النمل.

ألا ترى أن الطهر أصبح جريمة في عرف هؤلاء يطارد صاحبه, ألم يكن رسول الله صلى الله عليه وسلم صادقاً أميناً عند أهل مكة قبل الوحي, حتى إذا قال يا أيها الناس قولوا : لا إله إلا الله تفلحوا, قالوا عنه ساحر وشاعر وكاهن وكذاب, وسجل الله سبحانه ذلك في كتابته, حتى إذا سُب أتباعه وشتموا واتهموا بالباطل تأسوا به في صبره وحلمه وجلده. ثم مكروا به ليقتلوه أو يثبتوه, أو يخرجوه, ولكن الله سلّم, ألم يقل فرعون لقومه ﴿.. ذَرُونِي أَقْتُلْ مُوسَىٰ وَلْيَدْعُ رَبَّهُ ۖ إِنِّي أَخَافُ أَنْ يُبَدِّلَ دِينَكُمْ أَوْ أَنْ يُظْهِرَ فِي الْأَرْضِ الْفَسَادَ26﴾ سورة غافر.

هكذا الحال عندما تُقلب الموازين, فيصدَّق الكاذب, ويكذَّب الصادق, ويؤتمن الخائن, ويخوَّن الأمين, ويكون فرعون مُصلِحاً وموسى كليم الله مفسداً وحاشاه من الفساد.

فعلى الذين يعتنقون الدين الحق, ويسعون لنشر الحق, ويحبون هذا الحق, عليهم أن يعلموا أن الباطل وجنده لن يتركوه, حتى ولو تركوه وداهنوه, ألم يقل الله في كتابه العزيز ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا مِنَ الْمُجْرِمِينَ ۗ وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ هَادِيًا وَنَصِيرًا31﴾ سورة الفرقان, ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيَاطِينَ الْإِنْسِ وَالْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ زُخْرُفَ الْقَوْلِ غُرُورًا ۚ وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ ۖ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ112﴾ سورة الأنعام.

إنها سنة الله الماضية, فقد قال ابن آدم الأول لأخيه : لأقتلنك.

﴿ وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَفَسَدَتِ الْأَرْضُ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْعَالَمِينَ 251 ﴾ سورة البقرة.

فعلى الذين يسلمون إسلاماً ساذجاً أن ينتبهوا ويعلموا أنهم يحملون أسمى عقيدة, وأعظم دين – قد رضيه الله لنفسه – ولن يستعمل الله فيه إلا من رضيه من خلقه, بغض النظر عن لونه وعرقه. ﴿ وَإِنْ تَتَوَلَّوْا يَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُونُوا أَمْثَالَكُمْ 38 ﴾ سورة محمد, ألا ترى إلى صاحب السلطان كيف أنه لا يستخدم أحداً في بلاطه وشؤونه إلا من رضيه, وكيف يتأدب هذا المقرّب منه حتى لا يطرده من خدمته ؟! ولله المثل الأعلى.

والله يقول : ﴿إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَاتَّخِذُوهُ عَدُوًّا ﴾ سورة فاطر. فلن يتركك الشيطان وسيطرق عليك كل باب – كما بينت لك آنفاً – ثم إن استعصيت عليه فسيجلب عليك بخيله ورجله " وأشد الناس بلاءً الأنبياء ثم الأمثل فالأمثل,ويبتلى المرء على قدر دينه ". " والمؤمن القوي خير وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف وفي كل خير " القوي في دينه, القوي في يقينه, القوي في فهمه, القوي في صبره, القوي في جسده, الذي يعلم حدود ما أنزل الله على رسوله, فلا ينطفئ نور إيمانه إذا هبّت عليه رياح الشهوات والشبهات, ولا يزحزحه الباطل ببرقه و رعده, بل يقف في ثبات المؤمن الواثق ليقول : ﴿... هَٰذَا مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَصَدَقَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ ۚ وَمَا زَادَهُمْ إِلَّا إِيمَانًا وَتَسْلِيمًا 22 ﴾ سورة الأحزاب

إن الإسلام المتلوّن والإسلام الرمادي لا يأتي بخير ولا يُمثّل قدوة للمقتدين, ﴿مُذَبْذَبِينَ بَيْنَ ذَٰلِكَ لَا إِلَىٰ هَٰؤُلَاءِ وَلَا إِلَىٰ هَٰؤُلَاءِ ۚ﴾ سورة النساء.

فهذا عصر الصبر, القابض فيه على دينه كالقابض على الجمر, فمطلوب منك أن تُحصّن نفسك بالعلم النافع والعمل الصالح, والصحبة المعينة على الاستقامة, حتى تستطيع مصاولة الباطل وأفكاره الهدّامة, و إعلامه الخاطئ, وثقافته المعكوسة, وفطرته المنكوسة, وقواه المتغطرسة, ونيّاته الخبيثة, ولك في الأنبياء والمصلحين قدوة حسنة.

إن الاستقامة على أمر الله كما أمرت لا يكفي فيها أن تكون صالحاً في نفسك, ولكن أن تكون صالحاً في نفسك, مُصلحاً لغيرك, يقول الله تعالى : ﴿فَلَوْلَا كَانَ مِنَ الْقُرُونِ مِنْ قَبْلِكُمْ أُولُو بَقِيَّةٍ يَنْهَوْنَ عَنِ الْفَسَادِ فِي الْأَرْضِ﴾ سورة هود.

ويقول تعالى: ﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ لِيُهْلِكَ الْقُرَىٰ بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا مُصْلِحُونَ117﴾ سورة هود.

لم يقل صالحين فحسب.

فالإسلام السلبي الانزوائي المُتهرب من المسؤولية والمنتقى الذي (يؤمن ببعض الكتاب ويكفر ببعض) ويُضخم بعض الأوامر على حساب البعض الآخر حسب ما يوافق هواه, ليرضى عنه زيد ويمدحه عبيد بأنّه متنوّر وعصري وواقعي ومنفتح..أو قل إن شئت شيخ إفرنجي تفقه على المذهب الأمري إسلامي ابتلع آراء المستشرقين

الخُبثاء ولم يستطع أن يتقيأها ! هم من جلدتنا ويتكلمون بألسنتنا إلا بعض المصطلحات الأجنبية لتحلية الحوار عندما تضيق لغة الضاد عن غزارة علمه وسعة خياله... !

بل نريد المسلم الذي يعيش مع القرآن والسنة والسيرة النبوية, ويدرس تاريخ الأمة ثم بعد ذلك يدرس ما شاء من العلوم النافعة الأخرى, حتى يكون قرآني المنطلق, سني المنهج, محمدي السلوك, إسلامي الانتماء, ومن خلال هذه المنطلقات يحكم على الأديان والمذاهب والأفكار والقوانين والنظريات والعلوم والتاريخ والجغرافيا والدول, والأحزاب والجماعات والثورات, والهيئات والمؤسسات والأشخاص, والأعداء والأصدقاء, يقول الله تعالى : ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ تَتَّقُوا اللَّهَ يَجْعَلْ لَكُمْ فُرْقَانًا﴾ سورة الأنفال.

إنّ كثيراً من المسلمين التبست عليهم الأمور, وضلّوا وأضلّوا, لأنهم خلطوا المنابع الصافية بما استحسنوه مما استوردوه, وهيهات أن يستوي الخبيث بالطيب, هيهات أن يستوي أو يُقاس ما نزل من السماء بما نبت من الأرض ! " نحن قوم أعزنا الله بالإسلام فإن ابتغينا العزة بغيره أذلنا الله " كما قال عمر رضي الله عنه. إنّ الإسلام الذي جاء به محمدٌ صلى الله عليه وسلم حقٌّ كلّه, وعدلٌ كلّه, وسموٌ كلّه, ﴿وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا ۚ﴾ سورة الأنعام.

أرأيت الشمس إذا أشرقت هل يبقى مجالٌ لشمعة أو مصباح أو غير ذلك ؟! ماذا يقترح المقترحون ؟! إنّ الذي شرع هو الذي خلق ! ﴿أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ 14﴾ سورة الملك.

﴿قُتِلَ الْإِنْسَانُ مَا أَكْفَرَهُ 17﴾ سورة عبس.

أين عقول العقلاء ؟وذكاء الأذكياء ؟ وحذلقة المتحذلقين عندما كانوا أجنة في بطون أمهاتهم ؟أين قوة الأقوياء ؟ وكبر المتكبرين ؟ وعُجب المعجبين ؟ وعنجهية المتغطرسين ؟ عندما يتحرك ما في جوف أحدهم فيهرع إلى بيت الخلاء فيعاني ما يعاني.... لماذا لا يخترع أمراً يُعفي فيه نفسه من هذا القانون القهري الإلهي الذي يرغم أنفه ويُذل كبرياءه ؟ ناهيك عن المرض والهرم والموت الذي يجتاحه, فلا يترك قوياً لقوته, ولا ضعيفاً لضعفه, ولا غنياَ لغناه ولا فقيراً لفقره !

ولو عرف الطبيب دواء داءٍ يرد الموت ما قاسا النزاعا

إن الطبيب له علم يدل به إن كان للعبد في الأيام تأخير

حتى إذا ما انتهت أيام رحلته حار الطبيب وخانته العقاقير

إنّ الفهم القرآني, والتصور الإسلامي, والالتزام الإيماني هو الذي يجعل منك بشراً سوياً, سليم العقيدة, مستقيم الفطرة, ثابت النظر, صحيح الحكم, مطمئن القلب, هادئ الأعصاب, تعلم أن هذه الدنيا قاعة امتحان, ثم وضع الأقلام, وتسليم الأوراق, ثم

يأتي ﴿يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ ۚ﴾ سورة آل عمران. إنّ الذي جلب للناس الشقاء والبلاء, وعضال الداء, هو ظنهم بالله ظن السوء, وهو أن الله خلق وترك ولن يُحاسِب, والله يقول: ﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ115 فَتَعَالَى اللَّهُ الْمَلِكُ الْحَقُّ ۖ﴾ سورة المؤمنون. إنّ الله هو الحكم العدل, وهو أجلّ وأعظم وأعدل من أن يترك الظالم, والجاحد, والمفسد, والمجترئ دون عقاب في يوم تشخص فيه الأبصار, وهو سبحانه أرحم وأكرم من أن يترك المحسن والمؤمن والمصلح دون ثواب. ﴿أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ62 الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ63 لَهُمُ الْبُشْرَىٰ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ ۚ لَا تَبْدِيلَ لِكَلِمَاتِ اللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ64﴾ سورة يونس.

إنّ عقيدة الإيمان باليوم الآخر تجعل حياة المرء متوازنة تماماً, وبدونها تصبح الحياة عبثاً من العبث, أو قل إن شئت غابة تسكنها الحيوانات والقوارض, وانظر اليوم إلى واقع من أهملوا أو تفلتوا من هذه العقيدة, كيف تجتمع فيهم كل الموبقات والكبائر, والجاهليات التي كانت كل واحدة منها إذا حصلت في أمة من الأمم السابقة, بعث الله سبحانه إليهم نبياً يردّهم إلى الجادّة, ﴿ۚ فَاقْصُصِ الْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ176﴾ سورة الأعراف.

إنّ اليقين بالبعث والحساب في حياة المؤمن أشبه ما يكون بالملح إلى الطعام, لا يصلح ولا يُستساغ إلا به عند ذوي الأمزجة السليمة !

وأقول إلى شباب الإسلام, وأنا على يقين مما أقول : أن تفقهوا قبل أن تسوّدوا, كما كان يقول بعض السلف. فإن المستقبل للإسلام, لقد أفلس الآخرون, ونضب مَعينهم, وانكشفت عورات جهلهم, وانفضَّ جمعهم, فلطالما حثوا التراب ليحجبوا ضوء الشمس, ولكن عاد التراب على رؤوسهم, وبقيت الشمس على نقائها وبهائها. ﴿يُرِيدُونَ أَنْ يُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَيَأْبَى اللَّهُ إِلَّا أَنْ يُتِمَّ نُورَهُ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ32﴾ سورة التوبة.

و إنه لثقيل على النفس أن يكتب كاتب من هؤلاء أو يُصرّح مصرّح, أو يحاور محاور, فيريد أن يدلّس على الناس ويُظهر نفسه بمظهر المسلم الملم بقضايا الأمة وهمومها, فلا يحسن المسكين آية من كتاب الله, ولا يحفظ حديثاً, ولا يستحضر دليلاً, وكلما طال مُقامه قلت : ليته سكت ! حزناً على حال أمة فوّضت أمرها إلى هؤلاء !

إنّه ما تربى على القرآن, ولا عاش مع سنة خير الأنام صلى الله عليه وسلم, ولم يطالع في حياته سيرة نبي الإسلام صلى الله عليه وسلم, إنّه ملمٌّ بسيرة كل عُتلّ زنيم, منّاع للخير معتدٍ أثيم, من كل فرعون مفسد أو قارون باغٍ, أو ظالم مستبد, أو فاسق متسلّط, أو فاجر مجاهر, إنّه منسلخ من أمته ودينها, وتاريخها وثقافتها, فاجر القول, مُنكر الفعل, أجنبي الهوى, مُعولم الثقافة, غربي النزعة !

﴿ إِذَا جَاءَكَ الْمُنَافِقُونَ قَالُوا نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ اللَّهِ ۗ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَكَاذِبُونَ1﴾ سورة المنافقون.

قيل لعمر رضي الله عنه : " أوتوشك القرى أن تخرب وهي عامرة ؟ قال : نعم ! إذا علا أخيارها على أشرارها."

فعلى أهل الصلاح أن يتقدموا الصفوف, وأن يكونوا أهلاً للتقدم, أن يكونوا المثل والقدوة العملية, فأزمة الأمة أزمة عمل وقدوة صالحة, وليست أزمة تنظير وتأليف وكتابة على أهمية هذه الأمور, ولكن أمر القدوة الصالحة أهم, وقديماً قيل : حال رجل في ألف رجل أنفع من قول ألف رجل في رجل !

وهذا سر نجاح الأنبياء والرسل, إنهم على يقين كامل وثقة نامية بصدق دعواتهم ومبادئهم ونصر الله لهم, ثم هم يعيشون هذه المبادئ, ويصاولون الباطل, ويدفعون الثمن, ويأخذون بالعزيمة ولا يترخصون, لأنهم يمثلون الحق واقعاً يمشي على الأرض, فلا يرى أتباعهم انفصاماً بين واقعهم وبين ما يدعون إليه.

فعلى المتنعمين بعاجل الطيبات, روّاد الفنادق – خمس نجوم – كما يقولون, سمّار الغرف المكيفة, والأبراج العاجيّة, أن ينزلوا إلى الشارع, ليعيشوا واقع الأمة, ليشاهدوا بأم أعينهم إدبار المدبرين, وانحراف المنحرفين, ونفاق المنافقين, وتسلّط المتجبرين, وزيف الإعلاميين,وبؤس البائسين, وبغي الأغنياء, وعُدم الفقراء.

يا دعاة الإسلام انزلوا إلى ميدان العمل, انزلوا إلى ميدان الدعوة إلى الله, واصدعوا بالحق, فقد سأم الناس الباطل, لا تتركوا الساحة لكل أفاك أثيم, أولستم ورثة الأنبياء ؟ إذا كان أهل الباطل والفجور منهمكون فيما هم فيه. ويدعون الناس إليه دون كلل

أو ملل.. ألا تدعون أنتم إلى الحق المطلق الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ؟ إنها أمانة, و إنها خزي وندامة يوم القيامة, إلا من أخذها بحقها وأدى ما يجب عليه فيها !

إنّ المستقبل لهذا الدين لا شك في ذلك, ولكن لا بد لهذا المستقبل من رجال لا تأخذهم في الله لومة لائم, دستورهم القرآن, ومنهجهم السنة, وعملهم نشر دين الله في الأرض, بعز عزيز أو بذل ذليل. وشعارهم توحيد الأمة على كلمة الإخلاص. " لا إله إلا الله " يعيشون عصرهم, تجد فيهم العالِم والمخترع والطبيب والمهندس, والفلكي والجيولوجي... إلخ, فهم في كل فن يسعون للاكتفاء الذاتي, والاستغناء عن خبرات الأعداء الذين يفسدون في الأرض ولا يُصلحون, بل على شباب الأمة أن يسعوا للتفوق في كل ما هو نافع ومفيد. ومن قصّر فيما يستطيع الإحاطة به فهو لا شك آثم, وما لا يتم الواجب إلا به فهو واجب.

فالأمة بحاجة إلى الجميع, المهم أن تكون إسلامي الغاية والهدف, وهو أن تكون كلمة الله هي العليا, وفي أثناء المصاولة لتحقيق هذا الهدف الأسمى والأعلى, تحرّر الأوطان, وتسترجع المقدسات, وتعود إلى الامة عزتها وكرامتها وسيادتها.

ويغربل ثقافة الأمة و إعلامها, وتعليمها من كل ما علق بها مما يناقض ويصادم دينها وثقافتها. ﴿صِبْغَةَ اللَّهِ ۖ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ صِبْغَةً ۖ﴾ سورة البقرة.

هذا الهدف الأسمى بحاجة إلى جهد كل مسلم, كلٌ على قدر طاقته واستطاعته, صاحب العلم بعلمه, وصاحب الإعلام بقلمه, وصاحب التربية بتوعيته, وصاحب الغنى بماله, وصاحب القوة بقوته, والشباب بعنفوانه وحيويته, والضعيف بخالص دعائه, وهل تنصرون وترزقون إلا بضعفائكم ؟!

﴿ وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ ۖ ﴾ سورة المائدة.

أما ترون إلى أهل الباطل كيف يتعاونون ويتحزبون على باطلهم بدءاً بالعصابات وانتهاءً بالدول ذات الاستقامة الملتوية !

إلى متى نبقى نمضغ عجزنا, ونندب حظنا, ونشكو غثائيتنا ؟!

أما آن لأمة الإسلام أن تنهض لتقول لكل عُتل زنيم وعدو أثيم, ومنافق لئيم – مكانك فنحن هنا - ؟

قيل لأحد السلف : ما أصعب الأعمال ؟! فقال : إخلاص النية !

فلو عمل العامل للإسلام بنية, وكتب الكاتب بنية, ودعا الداعي بنية, وسعى الساعي بنية... وهكذا. لكان الحال غير الحال, ولكن كثيراً ما تُختزل الأهداف الكبيرة فتتقلص, وتصغر حتى تكاد لا ترى, بل وتباع بثمن من الدنيا قليل !

دراهم معدودة, وظيفة منقطعة, وجاهة فانية, منافع هزيلة... فتنشأ عند ذلك ثقافة التبرير, والفتاوى المغطية, والآراء الشاذّة, والأعذار بادية العورة, والتملّص السمج من استحقاقات المرحلة.

حتى أصبحت كل جريمة تُقترف ضد الأمة, وكل مخالفة, وكل خيانة, لا تعدم من يبررها, ويلتمس لها مخرجاً شرعياً مبهرجاً وقد يكتب في سجل أمجاد الأمة المجيدة... المسكينة المستباحة !

ولكن قل للمتبهرجين لا تتبهرجوا فإن الناقد بصير !

﴿وَمَثَلُ كَلِمَةٍ خَبِيثَةٍ كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ اجْتُثَّتْ مِنْ فَوْقِ الْأَرْضِ مَا لَهَا مِنْ قَرَارٍ26﴾ سورة ابراهيم.

هناك قاعدة ثابتة, قول فصل من حكمٍ عدل :

﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يُصْلِحُ عَمَلَ الْمُفْسِدِينَ81﴾ سورة يونس....

أنت أيها المسلم أينما كنت, ومهما كنت " أنت على ثغرة من ثغر الإسلام فلا يؤتينه من قِبلكْ " أنت لَبنة في بناء الأمة. " المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضا" احذر أن يدلف الشيطان إلى قلبك فيُعشش فيه ويُفرّخ وأنت في استرخاء نائم, صلاتك متخلفة عن وقتها, والجماعة لست من أهلها, الجمعة قد تُشغل عنها, شهر الصيام منافسة في استهلاك الطعام, تلاوتك هذرمة, أذكارك هلوسة, أفكارك مقفرة,

وباختصار... الدنيا أكبر همك ومبلغ علمك. و إذا سلم لك حالك فليأت من بعدك على الأمة الطوفان.. هذا وقد كُتب لك في بطاقتك الشخصية الديانة مسلم !

ومع كل أسى... فإن الكثير اليوم من أمة الإسلام من هو بهذه الصفة.

النكبات والمصائب تحلُّ بالإسلام وأهله, وهو يتابع في سمره الرياضة والمسلسلات والمصارعة, وكل تافه من القول والعمل...!

هذه هي الغثائية والوهن والهروب من المسؤولية, والعيش ضمن الاهتمامات الصغيرة.

وهمة المؤمن المنتمي إلى صالحي أمته فوق ذلك بكثير. إن الهمة العالية والأهداف السامية هي ديدن الرجال الذين صدقوا ما عاهدوا الله عليه, الذين لا تأخذهم في الله لومة لائم, وقديماً قيل :

ولا خير للمرء في حياةٍ إذا ما عُدّ من سقط المتاع

فعلى سبيل المثال : لو جعلت لك هدفاً تركض إليه على مسافة مئة متر فستشعر بالتعب, بعد أن تجاوز نصف المسافة أو ثلثيها. أما إذا جعلت هدفك بعد ألف متر فستقطع المئة والمئتين والثلاثة وأكثر من ذلك قبل أن تشعر بالتعب وضيق الصدر!

فمن مميزات المؤمن الحق سمو الهدف, وبعد النظرة, وأداء الواجب الشرعي لإعلاء كلمة الله في الأرض, نعم إنها أهداف مقدسة لا ينبغي لها إلا كلّ طاهر ومقدّس من

ذوي الأيدي المتوضئة, والقلوب الطاهرة, والنفوس الصافية, والهمم العالية, والأفهام الواعية, جاء في الحديث : " الناس كئبلٍ مئة لا تجد فيها راحلة " !

كم نحن بحاجة اليوم إلى هذه الرواحل, التي تركب وتحلب, فيعم نفعها, وينشر خيرها, وتعظم بركتها, في عصر الانتكاس والانطماس, نحن بحاجة إلى المؤمن المميّز اللون والطعم والريح. لونه لون الإيمان, وطعمه القرآن, وريحه اتباع سيد الخلق محمد صلى الله عليه وسلم هذه المحن والبلايا التي تنزل بالأمة لا بد منها وهي رحمة من الله وفضل ليميز الخبيث من الطيّب. كم من المتبهرجين الذين دلّسوا على الأمة وبُحّت لهم الأصوات بالهتاف. واحمرّت لهم الأكف بالتصفيق, ومجّدهم الممجدون, ومدحهم المنافقون, فلما جدّ الجد, وحان الحين وإذا بهم كرمادٍ اشتدّت به الريح في يوم عاصف !

ويأبى الله إلّا أن يُذلّ من عصاه.

﴿ وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنْقَلَبٍ يَنْقَلِبُونَ 277 ﴾ سورة الشعراء.

ألم يقص الله علينا في كتابه العزيز نبأ الذين قالوا : ﴿... ابْعَثْ لَنَا مَلِكًا نُقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ﴾ سورة البقرة.

ثم اعترضوا على اختيار الله لهم حتى أثبت لهم الأمر بالمعجزات, ﴿فَلَمَّا فَصَلَ طَالُوتُ بِالْجُنُودِ قَالَ إِنَّ اللَّهَ مُبْتَلِيكُمْ بِنَهَرٍ فَمَنْ شَرِبَ مِنْهُ فَلَيْسَ مِنِّي وَمَنْ لَمْ يَطْعَمْهُ فَإِنَّهُ مِنِّي إِلَّا مَنِ اغْتَرَفَ غُرْفَةً بِيَدِهِ ۚ فَشَرِبُوا مِنْهُ إِلَّا قَلِيلًا مِنْهُمْ ۚ ﴾ سورة البقرة.

هذه تصفية أخرى, أو قل امتحان آخر. ﴿ فَلَمَّا جَاوَزَهُ هُوَ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ قَالُوا لَا طَاقَةَ لَنَا الْيَوْمَ بِجَالُوتَ وَجُنُودِهِ ﴾ سورة البقرة.

وتمييز آخر لنا فيه عبرة,﴿ قَالَ الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُمْ مُلَاقُو اللَّهِ كَمْ مِنْ فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ اللَّهِ ۗ وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ249 ﴾ سورة البقرة.

هؤلاء الذين يستحقون النصر, هؤلاء الذين استخلصهم الله من القوم المعترضين المتخاذلين, المرجفين, ﴿وَلَمَّا بَرَزُوا لِجَالُوتَ وَجُنُودِهِ قَالُوا رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَانْصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ250 ﴾ سورة البقرة.

نعم, أخذ الأسباب, ثم تصفية, ثم دعاء وإنابة واستغاثة بالله رب العالمين, فمكّن الله لهم بعد أن تأهلوا للتمكين. ﴿... إِنْ تَنْصُرُوا اللَّهَ يَنْصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ7 ﴾ سورة محمد.

﴿إِنَّ اللَّهَ يُدَافِعُ عَنِ الَّذِينَ آمَنُوا ۗ ﴾ سورة الحج.

فلا بد من المحن والتصفية إن كانت الأمة تبغِ العزة والكرامة, لا بد أن يتجمع أهل الصلاح والخير على العقيدة, فهي التي تنصهر فيها كل الفوارق والمعوقات الأرضية, من عِرق ولون وحدود مصطنعة خطها لنا العدو وليسهل عليه التفافنا وابتلاعنا !

فصفقنا دون وعي, وذهبت بنا نشوة النصر كل مذهب, واستلم الرويبضات الرايات المُشَتَتة والمُشَتِتة, وليكرّسوا هذا الواقع المرير, وينفذوا دورهم كما أملى عليهم أسيادهم وصانعوهم, حتى أن من ينتهي دوره منهم لأي سبب كان, فإن هناك عجلة خامسة مُعدّة (سبير) تخرج من رحم التلميع, ونواصل المسير ة, وعلى درب الخَلَف...!

وسر الأسرار في ثلاث ميمات, من تمكّن منها وتصرّف فيها فقد وضع قدمه على طريق التمكين, المال, والإعلام, والتعليم, ولكن ﴿ مِنْكُمْ مَنْ يُرِيدُ الدُّنْيَا وَمِنْكُمْ مَنْ يُرِيدُ الْآخِرَةَ ﴾ سورة آل عمران.

وانظر الآن إلى أموال الأمة وثرواتها كيف تُبددّ على توافه الأمور, وتشتغل وتسرق وتُكَدّس في البنوك الأجنبية, والفقر يزرع البلاد طولاً وعرضاً.

والأمية والبطالة, والبنى التحتية, والقوم في سكرتهم يعمهون, ناهيك عن الديون المجدولة !

البطون خاوية, والأفواه فاغرة, والسواعد معطلة, والعقول النابهة مُشرّدة, فماذا تنتظر من هؤلاء إلا المزيد من الفساد والإفساد, وسوء النية, وخُبث الطويّة.

إلا من كان له دينٌ يردّه, أو ورع يصدّه, أو انتماء يحجزه, فيسعى لإصلاح الحال وبذل التضحية والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

أمّا الإعلام – باستثناء القليل من وسائله المُستقلة – فإنه إعلام خادم لهذا الواقع المقيت, مُخدّر للأمة, لا همّ له إلا الإثارة والتسلية, حتى ولو على حساب الدين, والخُلُق, والفضيلة,إنّه أشبه ما يكون بامرأة عارية فاجرة تنادي بأعلى صوتها وعلى الملأ أن " هَيْتَ لَك.." – واعذروني يا معشر القرّاء – هكذا شكلاً ودعاية وفناً وكل شيء إثارة وتهييج للحيوانية, وذبح ووأد للفضيلة.

وانسلاخ من قضايا الأمة, وتبرير للعجز والخيانة, وتسمية الأشياء بغير أسمائها, وكأننا قد حررنا الأوطان, وحكّمنا القرآن, ووحدنا الأمة, وأشبعنا الجياع, وأنشأنا المصانع التي تسدّ الحاجة وتصدّر إلى الآخرين, ولم يبق إلا أن نروّح عن النفوس الكالّة من أعمالها, والعقول المكدودة باختراعاتها.

ومن هنا جاءت الاحتفالات والمهرجانات الفنية, والرقص الشرقي, وتمجيد من يشتغل في هذا الميدان حتى إن جمهورهم يعرفهم ويتقصى أخبارهم أكثر ما يفعل ذلك مع سادة الأمة وقادتها, فخاب المسعى, وسَفُل المبتغى, وبُجّل الأراذل, وفسق كل لكاع ولكع. والله المستعان.

أما التعليم – فاسألوا أهل الاختصاص فيه – كيف هبط مستواه, وتكدّست موادّه, وكثر ماؤه وقل دسمه. وتشتت الطالب عن مهمات أمته ودينه وثقافته إلى كل ما هو غربي أو شرقي حتى ولو كان ما عندنا خيرٌ منه وأقوم سبيلا. – ولا بأس باقتباس النافع المفيد فالحكمة ضالة المؤمن من أي وعاء خرجت ولكن هذا الحشو الخبيث

ومراكمة المواد دون مراعاة لسنٍ أو أهمية جعل الكثير من شبابنا هو لا مع العير ولا مع النفير – تجد أن ثقافته مسخاً من المسخ.

فهذه الجامعات التي هي رمزٌ لثقافة الأمة وتطورها, وبناء مستقبلها, كيف أصبحت معرض لأزياء القوم, يتبارى الشباب في (الموضات) والقصّات, وينافسوا الزميلات في الألوان والأشكال, فهل هذا الغافل يسعى لنصرة الأمة بهذه المناهج الموَّجهة ليكون هذا هو نتاجها الممسوخ, والدنيا من حوله متبرجة, والشهوات مشتعلة, وكلما تغرّب وتباعد في غيّه, صفّق له جمهور الشهوات والمنكرات, وسيء العادات, حتى يُفضي إلى الإفلاس, الإفلاس العلمي والفكري والخُلُقي, اشتغل بقشور مظاهر العصر, ولم ينل من اللباب شيء , لو نظر المسكين إلى نفسه لوجد لباسه مستورد, وحذاءه مستورد, وحشو معدته مستورد, ومركوبه مستورد, وجهاز اتصاله مستورد, بل كل شيء يلزمه هو مستورد, هو لا يستطيع أن يكتفي ذاتياً في أي شيء, ولا هو مؤهل لصناعة أي شيء, هو وشهادته وعلمه و إعلامه واقتصاده, وآمره وناهيه, - مفعول به – ومفعول معه, ومفعول لأجله, ومفعول فيه, ومجرور بالإضافة... !

سوق استهلاكية لمن عولمونا بقشور ثقافتهم, ومساوئها, ولم يعطونا – ولم نحرص نحن - على النافع منها, قلّدناهم في الحركات والسكنات, وبعض الكلمات, والعُري والتفاهات, ولكن. لم نقلدهم في الصناعات والمخترعات, والعلم وحفظ الأوقات, إنك قلّ أن تجد شاباً يسعى إلى العلم رغبة في العلم ونفرة من الجهل ! بل تجده

كالمكره إذا أنهى كتاباً رمى به, و إذا استكمل فصلاً نسيه عن قريب, و إذا حصل على شهادة اكتفى بها وظنّ أنه بلغ الغاية, مع هذا الهزال في المناهج, وضعف المستوى العام, وهبوط مؤشر الحواضر من حوله, التي تحفّز الذهن, وتقدح زناد الفهم, وتوقد روح المنافسة.

ولا شك أن هذه الثمرة البائسة, والهمة الساقطة, هي نتاج بذرة خبيثة زرعها أعداء الأمة أثناء حقبة الاستعمار, ثم رعوها حق رعايتها, بعد ذلك بمن سايرهم وحذا حذوهم, عندما عبثوا بالمناهج, وقصّوا وحذفوا وخططوا لضرب الأمة في صميم عقيدتها, ودينها وثقافتها, حتى يطمئنوا إلى تبعيتها لهم بعد رحيل أشخاصهم, وزرع أفكارهم, وغرز أذنابهم, ونحن في غمرة التصفيق والتمزيق, أنا لا أدعو إلى اليأس, وأعلم ان الله يحيي العظام وهي رميم, ولكن هذا هو الواقع في الغالب, إلا من رحم الله وقليل ما هم, ولئن تقف وتقول : لقد أخطأت الطريق, ثم تتبين الوجهة الصحيحة خير لك من أن تواصل في الطريق الخطأ, ثم تقول : لا بد من صنعاء و إن طال السفر !

فالذي يحاول الإصلاح ويهمل هذه القواعد الثلاثة, فهو كنافخ الرماد وصائح في واد, كمن يحاول تصفية ماء الجدول وينسى المسكين أن هناك مياه ملوثة (عادمة) تصب فيه قبل ان يصل إليك, فحوّل المجرى الخبيث يطيب الجدول دون عناء !

إن عمارة الأرض على منهج الله هي من منهج الله تعالى, وكل شيء جعل الله له سبب, فإهمال الأسباب ثم انتظار التغيير جهل ورعونة وقلة عقل !

﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ ﴾ سورة الرعد.

فلا بدّ لإصلاح الحال من نيّة صادقة, وأخذٍ بأسباب التمكين, وتعاون مسؤول, وغيرة على أمة محمد صلى الله عليه وسلم ونصح من تُجدي فيه النصيحة بكلام عميق, يفيض من قلبٍ شفيق, بأسلوب رقيق, " فما كان الرفق في شيء إلا زانه, ولا نُزع من شيء إلا شانه " ثم إعراض عن أهل الزيغ والانحراف ومن تمكّن غش الإسلام وأهله من قلوبهم, ولو كانوا من الأقربين, فعلى قدر إيمانك تحب أهل الإيمان, وتأرز إلى محلتهم كما تأرز الحية إلى جحرها. وعلى قدر بقية الجاهلية فيك وعدم ثبات إيمانك تحب أهل الزيغ والنفاق, ناهيك عن أهل الكفر والشقاق, لقد قال ربك وقوله الحق : ﴿لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ ۚ أُولَٰئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ وَأَيَّدَهُمْ بِرُوحٍ مِنْهُ ۖ وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا ۚ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ۚ أُولَٰئِكَ حِزْبُ اللَّهِ ۚ أَلَا إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ 22 ﴾ سورة المجادلة.

فهل بعد هذا عُذر لمعتذر, أو حجة لمعترض ؟!

إن حب المؤمنين والاهتمام بحال المسلمين, والانتماء إلى جهود الصالحين المصلحين, هو دليل الإيمان, وهو الدافع القوي للسعي, و إعانة من يسعى لإعلاء كلمة الله في الأرض.

أبا سليمان قلبي لا يطاوعني   على تنكر أحبابي و إخواني
إذا اشتكى مسلم في الهند أرقني   و إن بكى مسلم في الصين أبكاني
ومصر ريحانتي والشام نرجستي   وفي الجزيرة تاريخي وعنواني
أرى بخارى بلادي وهي نائية   وأسترجع إلى ذكرى خرساني
وحيثما ذُكر اسم الله في بلدٍ   عددت ذاك الحمى من صلب أوطاني
شريعة الله لمت شعثنا وثبت   لنا أخوة إيمان و إحساني

" المسلم أخو المسلم, لا يظلمه, ولا يخذله, ولا يُسلمه...." الحديث... " مثل المؤمنين في توادّهم وتراحمهم, وتراحمهم, وتعاطفهم, كمثل الجسد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر بالحمى والسهر ".. الحديث, هذه هي الأخوّة الإيمانية الصادقة على أساس العقيدة الربانية لو أنها سرت في كيان الأمة, كما يجب أن تكون لكان الحال على غير ما ترون وتسمعون, ولكن كَثُر الخُبث, وأصابتنا لوثة الإقليمية والأنانية !

وقلنا مبررين ذلك : " نحن أولاً " هروباً من تكاليف الواجبات الإيمانية, فلم تكن أولاً ولا آخراً, بل زوائد دودية متعفنة, لا دنيا ولا دين, ولا خُلق, لا سبق علمي, ولا رسالة صالحة نقدمها للبشرية كخير أمة أخرجت للناس.

ماذا يُمكن أن نقدّم لبني البشر كمساهمة في بناء الحضارة ؟ لقد حطّوا على القمر وما وراء القمر, وغاصوا في أعماق البحار, وقالوا : إنهم اكتشفوا الخارطة الجينية, وثورة معلوماتية مذهلة, وشبكات اتصال مدهشة...إلخ!

فماذا بقي لنا ؟! وما عسى أن نقدّم لبني الإنسان, والله المستعان !

نعم لدينا ما نقدمه إذا كنّا أهلاً للتقديم والمشاركة, لدينا ما تحتاجه كل الأمم, لدينا ما يفتقده الآخرون, لدينا ما يجعل لكل ما اكتشفوه قيمة حقيقة نافعة – وإلا كان وبالاً عليهم – لدينا هذا الدين الذي لا تستقيم الحياة إلا به, لدينا هذا القرآن العظيم الذي يربط المخلوق بالخالق, حتى لا يقضي على نفسه بنفسه, لدينا تعاليم محمد صلى الله عليه وسلم القدوة في كل شيء, في رحمته, وصبره, وجهاده, في فقره وغناه, في اضطهاده ونصره, في معاملته مع مُحبيه ومخالفيه....

نعم, لدينا دين عظيم متكامل هو الشفاء لكل ما تعانيه البشرية من ظلم, وفسق وعري, وانحطاط في العلاقات الإنسانية, إنهم أحوج إلى ديننا منا إلى مخترعاتهم وعلومهم ! إنهم على قدر تقدمهم في دنياهم ضلّوا عن طريق سعادتهم, وشردوا وتنكّروا لخالقهم, فكان أن ظلموا وفسقوا وفجروا وشذّوا واكتأبوا وانتحروا.... !

قال تعالى :﴿يَعْلَمُونَ ظَاهِرًا مِنَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ عَنِ الْآخِرَةِ هُمْ غَافِلُونَ ﴿7﴾﴾ سورة الروم.

أما نحن فذنبنا مضاعف. لأننا لن نمثل هذا الدين تمثيلاً صحيحاً بل حاربناه, وطاردناه وحصرناه, في زوايا النسيان حيناً من الدهر, وركضنا خلف القوم لنجاريهم في باطلهم فبؤنا بالصفقة الخاسرة, ولا أرضاً قطعنا ولا ظهراً أبقينا !

لا حفظنا ديننا وسرّ قوتنا, ولا حصّلنا علوم القوم وتقدمهم !

ولكن لا بأس فالأمل بعد الله سبحانه في هذه الصحوة الإسلامية, وهذه الروح الإيمانية التي تسري في كيان الأمة من جديد, أن تُعيد المسلمين إلى دينهم, وتردهم إلى تعاليم مولاهم الحق, وتحيي فيهم سنة نبيهم صلى الله عليه وسلم, فيرى الآخرون صفاء العقيدة و إخلاص التوجه, وصدق الاتباع, وأمانة القول والعمل, ومحاربة الفجور والرذائل, وصدق الحديث, وكفّ السمع والبصر عن المحرمات, والاعتزاز بقيم الإسلام وشعائره وتعاليمه, ووحدة الصف وبذل كل ما يلزم لإعلاء كلمة الله في الأرض, فيرى إسلاماً يمشي على الأرض فيه كل ما تتمناه النفوس السليمة, والفِطَر القويمة, عند ذلك سيدين لك بالاحترام, وستبلغ من قلبه - إن كان فيه بقية – مبلغاً عظيماً.

إنّ هذه دعوة إلى الإسلام صامتة, ولكنها مؤثرة كل الأثر, على كل المستويات الجماعية والفردية, فعلى كل من يُعامل الآخر أن يُمثّل الإسلام خير تمثيل, و إياك ان تصد عن دين الله بسوء حالك, وسيء مقالك, كم نعاني في هذا الجانب, من جهل الجاهلين, وحقد الحاقدين, ونفاق المنافقين الذين يفسدون في الأرض ولا يُصلحون,

والذين يُبالغون ويتباهون بالتنكر للدين, ليُظهروا للقوم أنهم روّاد التقدم والانفتاح والتحرر. وقد يتعمد المسكين النيل من الإسلام وأهله إرضاء لجليسه و إبليسه !

إنّ سر عظمة هذه الامة وعزتها وكرامتها, ووحدتها هو في دينها, ما استقامت عليه كما أمر ربها, إنه لا ينبغي لمن يجهل هذا الأمر, أو يتجاهله,أن يتكلم باسم أمة الإسلام , أو حتى طائفة منها, إن فاقد الشيء لا يعطيه, إنه كمن يلقي سيفه ورمحه, ثم يصول ويجول قائلاً : من يُبارز !

إنّ القرآن نزل ليحكم, نزل ليسود العالم, ﴿ إِنِ الْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ ﴾ سورة الأنعام, ﴿وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ ۖ فَاحْكُمْ بَيْنَهُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ عَمَّا جَاءَكَ مِنَ الْحَقِّ ۚ لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا ۚ﴾ سورة المائدة.

إنّ البشرية كافة في أمسّ الحاجة إلى القرآن وحكمه وتعاليمه, وعقيدته وروحانيته.

إنّ سعادة الناس في الدنيا والآخرة مجموعات وفرادى, هي في كتاب الله تعالى واتخاذه منهاجاً وسبيلاً. إنه بقية قانون الله خالق كل شيء – ولكن جعل الله الالتزام به اختيارياً- ليتم الابتلاء, ليهلك من هلك عن بينة, ويحيا من حيّ عن بينة, إنه المُكمل لقانون القهر الذي قهر الله به كل شيء, من الذرة إلى المجرة, وما دون ذلك وفوقه. ﴿... وَلَهُ أَسْلَمَ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَإِلَيْهِ يُرْجَعُونَ83﴾ سورة آل عمران. وما هذا الشقاء والنكد, والضنك الذي يغمر العالم

إلا نتيجة الانحراف عن منهج الله تعالى, ﴿وَلِلَّهِ جُنُودُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ۚ﴾ سورة الفتح. ﴿قُلْ هُوَ الْقَادِرُ عَلَىٰ أَنْ يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا مِنْ فَوْقِكُمْ أَوْ مِنْ تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ أَوْ يَلْبِسَكُمْ شِيَعًا وَيُذِيقَ بَعْضَكُمْ بَأْسَ بَعْضٍ ۗ﴾ سورة الأنعام.

إنها لعنة البغي والظلم وفاحش القول والعمل تطارد أهل الانحراف والإعراض والكفر. ﴿وَاتَّقُوا فِتْنَةً لَا تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْكُمْ خَاصَّةً ۖ﴾ سورة الأنفال.

﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا﴾ سورة طه.

وما أظن عاقلاً فيه بقية خير على وجه الأرض يدرس القرآن دراسة الباحث عن الحق إلا ويسجد قلبه اعترافاً بأنه أمام حق مطلق, لا ينبغي إلا أن يصدر عن إله عظيم حكيم !

فيا حسرة على المحسوبين على أمة الإسلام الذين لا يُحسنون بل ولا يعلمون إلا النزر اليسير عن دينهم وقرآنهم, وعظمة نبيهم صلى الله عليه وسلم, اشتروا به لهو الحديث, واستبدلوا به ساقط الآراء والأهواء, فترجلوا وهبطوا من كابنيه القيادة – قيادة البشرية – ليعودوا صاغرين إلى ذيل قافلة التاريخ ! ويتصايح القوم إلى الخلاص والإخلاص, جرّبوا ورفعوا كل الرايات الأرضية الرذيلة, فكان هذا الواقع المرير,الذي لا يخفى على ذي عينين وأذنين.

﴿.. كُلَّمَا دَخَلَتْ أُمَّةٌ لَعَنَتْ أُخْتَهَا ۖ﴾ سورة الأعراف.

وكلما نعق ناعق انجفل الناس إليه وظنّوه مُخلصاً وفاتحاً. ونسينا قول الله عزوجل :
﴿ وَمَنْ يُهِنِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ مُكْرِمٍ ﴾ سورة الحج.

﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ ﴾ سورة الرعد.

والله لن تقوم لنا قائمة حتى نحكّم في حياتنا كلها ما نزل من السماء, " ونتبع سبيل المؤمنين ", ويغلب على الأمة الاستقامة وأهل الاستقامة الذين يعتزون بدينهم, وقرآنهم ونبيهم وأمتهم ﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ ﴾ سورة آل عمران.

إننا منذ تركنا راية القرآن, ورفعنا غيرها ونحن في تردٍ وانحدار, وغثائية, ﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا ۚ يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا ۚ وَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ55﴾ سورة النور.
هذه الآية وحدها معجزة من المعجزات, لقد أُنزلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم في المدينة بين كر و فر مع قريش وقبائل العرب, فكان هذا الوعد الرباني بالتمكين والاستخلاف والأمن !

ولكن, ألم يكن هذا الوعد الصادق واقعاً مُعاشاً بعد سنوات قليلة حتى من ذلك الجيل الذي عايش الأيام الأولى, أيام أُحد والخندق, والحديبية, ألم يروا ويسمعوا ويلمسوا بأيديهم ؟!

صدق موعود الله تعالى, حين طهَر الجزيرة العربية من الشرك والمشركين, ثم ليجتاحوا أعظم قوتين في ذلك التاريخ, فارس والروم, ثم ليواصل من بعد المسيرة, مسيرة فتح القلوب والحدود, والحصون, وقبل أن يكتمل القرن الهجري الأول, و إذا بهم على حدود الصين وفي قلب الهند, وفي أقصى الأندلس ! أليست هذه معجزة ربانية وتصديق لما وعد الله به نبيه صلى الله عليه وسلم ومن سار على هديه والتزم تعاليمه واعتز بالانتماء إليه ؟!

ماذا فعل ؟ أو قل : ماذا حققّ الأقزام الذين جاءوا في زمان كبوة الأمة وغفلة التاريخ, وكرّة العدو ليجعلوا من الإسلام هدفاً لحربهم ومكرهم, ونقدهم, وخبث طويّتهم, فتفيئوا سيلاً من الكتابات والدراسات والتصريحات والبيانات, فضلّوا وأضلوا.

فكانت هذه الحقبة المظلمة من التاريخ الحديث, حقبة الهزائم والفشل, والتشظي والتبعية من نصيب كل من تنكر لدينه ورسالته وراح يجمع نفايات قوانين الأمم وأفكارهم وثقافاتهم وعقائدهم المنحرفة, ليجعل منها ديناً يدين به ويلوث بها من حوله طوعاً أو كرها, ليضارّ بمكره وخبثه الإسلام وأهل الإسلام.

﴿يُرِيدُونَ أَنْ يُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَيَأْبَى اللَّهُ إِلَّا أَنْ يُتِمَّ نُورَهُ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ﴿32﴾﴾ سورة التوبة.

لقد آن الأوان أن تصحوا الأمة من غفلتها, وتنهض من كبوتها, وتعلم أين تكمن عناصر قوتها, وهنا يأتي دور الدعاة والعلماء, وأئمة المساجد في توعية الناس,

الدعاة الذين ﴿الَّذِينَ يُبَلِّغُونَ رِسَالَاتِ اللَّهِ وَيَخْشَوْنَهُ وَلَا يَخْشَوْنَ أَحَدًا إِلَّا اللَّهَ ۗ﴾ سورة الأحزاب.

الذين جمعوا إلى العلم التقوى والورع, والحكمة والفطنة, والذين يعالجون أدواء الأمة, علاج الطبيب المُشفق الحاذق, ويفقهون الأولويات, ويُدركون أبعاد علو لمة الباطل, فهم يسعون بكل وسائل العصر المشروعة لعولمة الحق !

والحق أحقّ أن يُتبع, وأجدر بالسعي في سبيله, ﴿ فَأَمَّا الزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَاءً ۖ وَأَمَّا مَا يَنْفَعُ النَّاسَ فَيَمْكُثُ فِي الْأَرْضِ ۚ﴾ سورة الرعد.

هناك خطة خبيثة طُبقت حيناً من الدهر ولا تزال, وهي فرع عن تدخل الأيدي الخبيثة في التعليم, فإضافة إلى القص والحذف لمواد التربية الإسلامية في مراحل التعليم الأولى, وإفراغ البقية الباقية منها من مضمونها, فهناك التنفير المتعمد من التخصص في دراسة الشريعة الإسلامية في الجامعات, وخُفض المعدل الذي يؤهل لدراسة هذا التخصص, لا للتسهيل على الدارس ولكن للتهوين من قيمة الموضوع – وهذا له تأثير نفسي على همة المتقدمين لهذا التخصص – ويرفعون المعدلات المؤهلة للدراسات الأخرى, فتجد أن الكثير ممن يدرسون الشريعة الإسلامية هم من الذين لم يُحصلوا معدلاً محترماً, فإذا أُغلقت في وجوههم أبواب التخصصات الأخرى قبلوا بدراسة الشريعة على مضض, فتجد أنهم لا يُبدعون بل ويحتقرون أنفسهم ولا يُشجعون غيرهم وربما يندبون حظهم – ولكل قاعدة استثناء – وهذا الجو النفسي

الكئيب هو نتيجة الأصابع الخبيثة التي تسعى وبكل خبث ومكر للتنفير من الدين وأهله, فانتبهوا يا معشر المسلمين !

ولو كانت النية صالحة, والأحوال مستقيمة, لما درس الشريعة إلا أهل النبوغ والمعدلات العالية, حتى تكون لها الهيبة والاهتمام التي تستحقها, فهذا الأمر دين, ودينك لحمك ودمك ودنياك وآخرتك, فيا حسرة على العباد !

وما عسى أن يفعل الطبيب بعد هذا الجد والجهد والاهتمام ؟ أوليس علاج البدن ؟! ولكن الداعية النابه يعالج القلوب المريضة بالشهوات والشبهات, يعالج النفوس الزائغة, والانحرافات المهلكة للفرد والمجتمع, يعالج الروح التي تضفي الحياة على الجسد, لتجعل منه بشراً سوياً.

وما عسى أن يبني المهندس, أوليس بناء الدور والقصور والجسور وما إلى ذلك ؟! ولكن الداعية يبني النفوس المستقيمة, والجسور الموصلة إلى رحمة الرحمن وجنة الرضوان, لتصبح الحياة ذات طعمٍ ولون !

وهكذا كل علم من العلوم, إذا لم يكن في وعاءٍ من المعرفة بالله تعالى فسيكون وبالاً على صاحبه, وضره أكبر من نفعه, وتدمير صاحبه في تدبيره.

إن معرفة الله والاستقامة على أمره نورٌ تام يريك الحق حقاً والباطل باطلاً !

إذا لم يكن عوناً من الله للفتى ... فأول ما يقضي عليه اجتهاده

ماذا صنع العالم – المتفلت من منهج الله – مع كل ذكائه وقوته واختراعاته وعلومه واكتشافاته في الحرب العالمية الثانية : أقرب وصف لما حدث هو (ما لا عين رأت, ولا أذن سمعت, ولا خطر على قلب بشر) من الفناء والدمار والخراب, هكذا من أجل نزواتٍ جاهلية تعشش في الرؤوس, هكذا عندما يتمرد الإنسان على خالقه وولي نعمته, تصبح الحياة بلا أهداف, والتقدم العلمي بلا غاية, بل تنافس في وسائل الكيد والدمار, لا شك أن العالم وقتها لا يعاني أزمة أطباء ولا مهندسين ولا مخترعين.... إلخ !

ولكن الأزمة أزمة نفوس خاوية على عروشها, النفوس التي أشرت وبطرت وتسلّطت, النفوس الفاقدة لكل التعاليم السامية التي يدعو إليها الإسلام ومحمد صلى الله عليه وسلم, سيد الأنام الذي يجعل كل ما يكتشفه البشر من نواميس الكون وقوانينه طريق لمعرفة الله وتوحيده, وعوناً على عمارة الأرض, واستخراج ما أودع الله فيها.

ويقرأ قول الله عزوجل : ﴿أَلَمْ تَرَوْا أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُمْ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُ ظَاهِرَةً وَبَاطِنَةً ۗ ...﴾ سورة لقمان. وكلما زاد علمه, وتوسعت دائرة معرفته, واكتشف سرا من الأسرار التي أودعها الله في هذا الكون, سجد قلبه لله تعالى وعنا وجه وذلّت جوارحه, وأيقن أن الخالق خلقه, والقرآن كلامه, وأن محمداً صلى الله عليه وسلم عبده ورسوله, ﴿هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ33﴾ سورة التوبة.

أرجو أن لا يُفهم من كلامي أني أهون من قيمة العلوم الأخرى.. بل كل ما أقصده هو أن أضع الأمور في نصابها, فلا نقدم المهم على ما هو أهم منه.

إن جميع عقلاء الأرض من كل ملة و نحلة حتى ولو كانوا معرضين عن الدين سني شبابهم, إلا أنهم لما تقدمت بهم السن, ورجحت عقولهم, ورسخت أقدام معرفتهم !

وجدوا فراغاً في نفوسهم لا يملأه إلا التدين الصحيح. يقول ابن القيم رحمه الله تعالى: " إن في القلب شعث لا يلمه إلا الإقبال على الله, وفيه وحشة لا يزيلها إلا الأنس به في خلوته, وفيه حزن لا يذهبه إلا السرور بمعرفته وصدق معاملته, وفيه قلق لا يسكنه إلا الاجتماع عليه والفرار إليه, وفيه نيران حسرات لا يطفئها إلا الرضى بأمره ونهيه, وقضائه ومعانقة الصبر على ذلك إلى وقت لقائه, وفيه طلب شديد لا يقف دون أن يكون هو وحده مطلوبه, وفيه

فاقة لا يسدّها إلا محبته والأنانية إليه ودوام ذكره, وصدق الإخلاص له, ولو أُعطي الدنيا وما فيها, لم تسد تلك الفاقة منه أبدا ".

وصدق والله, فإن في القلب فراغاً لا يملأه إلا الإيمان واليقين والاستقامة, إن هذا الدين لو تأملناه, وفهمناه حق الفهم لوجدنا أنه ضرورة من ضرورات الإنسان في هذه الدنيا, وهو في الآخرة سبيل النجاة, ﴿يَوْمَ لَا يَنْفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ88 إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ89﴾ سورة الشعراء.

فكما أن الهواء والماء والشمس والقمر, والأرض والسماء... عناصر بقاء الأجساد.. فإن الدين القويم عنصر حياة الأرواح والبلسم الشافي للجراح.

وما ظلم الظالمون, ونفاق المنافقون, وفجر الفجرة, وفسق الفاسقون, إلا أنهم لا يؤمنون بالله العظيم, ولا يوقنون بقوله عزوجل : ﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ وَمِنَ الْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ الْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِتَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا12﴾ سورة الطلاق.

فهذا الإله العظيم : هو الخالق لهذا الخلق, المُعجز المذهل, وهو العليم الخبير الذي سيحاسب الجميع, إن خيراً فخير, و إن شراً فشر.

فشتان بين من يعيش على هذه العقيدة, ويحاسب نفسه على كل انحراف عن الصراط المستقيم, وبين من يعيش وغايته تحصيل شهوات الدنيا الفانية, ويبرر لنفسه كل وسيلة لبلوغ هذه الغاية, حتى ولو كما يقول النابلسي : " بنى نفسه على أنقاض الآخرين, وبنى غناه على فقرهم, ومجده على أذلالهم ". إن الإنسان الذي لا يعرف الله عزوجل, ولا يخافه, ولا يستحيي من الناس, يصبح جباراً عنيدا, وشيطانا مريدا, وحشاً مفترساً, ودابة منفلتة, وهذا هو عضال الداء, ومر الشقاء ومنبع البلاء, لقد تعس وشقي كل من ظن أن السعادة هي بالانسلاخ من الدين, وتعاليم الدين, بل ومحاربته بكل الوسائل والسبل !

إنه مهما بلغت وسائل الترفيه عند القوم, فلن تجلب لهم السعادة الحقيقية, لأن منبع السعادة هو القلب الذي يعرف الله تعالى إن وسائلهم تخص الجوارح والظواهر, أما زاد الروح فشأن آخر, لأنها من أمر الله وكل ينزع إلى موطنه, فمهمة الدعاء هي مهمة الأنبياء والمرسلين, وهي دلالة الخلق على الخالق, وتعريفهم بأمره ونهيه, حتى يسعدوا في دنياهم وأخراهم, ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِمَّنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ33﴾ سورة فصلت. " إن العلماء ورثة الأنبياء, وإن الأنبياء لم يورّثوا ديناراً ولا درهماً, ولكن ورّثوا العلم فمن أخذه أخذ بحظٍ وافر ".

فعلى الأمة أن تعي دورها وما خصّها الله به من أمر عظيم, وتكليفها بنشر دين الله في الأرض, وإعلاء كلمته سبحانه وتعالى ﴿.. وَإِنْ تَتَوَلَّوْا يَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُونُوا أَمْثَالَكُمْ38﴾ سورة محمد.

إن هذا الدين أعظم هدية تهديها أمة الإسلام إلى البشرية الضائعة الحائرة لتنقذهم مما هم فيه من ماديّة وجفاف وآلية قتلت فيهم الروح, واطلقت الشهوات الحيوانية, والغرائز الوحشية, فاستعانوا بما اكتشفوه على شهواتهم وغرائزهم, فكان هذا الانحراف الخطير, والشر المستطير.

إن هذا الجماح لا يكبحه إلا دين عظيم, ومنهاج مستقيم يقيد كل طاقة وقوة وشهوة وغريزة إلى مسارها الصحيح. لتكون عنصر بناء لا معول هدم وتخريب, ولا شك أن هذه غاية سامية وهدف نبيل أن تسدي خيراً تؤجر عليه, ولكن كيف ونحن مُقصرون

في جنب الله تعالى, في توحيدنا والتزامنا بكتاب ربنا, واتباع سنة نبينا صلى الله عليه وسلم (وفاقد الشيء لا يعطيه).

ولكن الله قدير , وهو يُخرج الحي من الميت, فعلى رغم عدوان المعتدين, وكيد الكائدين, ومكر الماكرين, وزيف المنافقين, وتضليل المُضلّين, ها هو الإسلام يعود من جديد ليملأ المساجد والجامعات بل والشوارع, صحوة مباركة, وروح جديدة تسري في كيان الأمة, فعلى الدعاة الوعاة الذين عكفوا على دراسة هذا الدين طوعاً لا كرهاً, وتعظيماً وحفظاً لكلام الله تعالى, الذين يعتزون بما يحملون من معرفة بالله وبدينه القويم, أن يقودوا هذه الجماهير المسلمة, إلى تحرير الأوطان, وعز السلطان, وتحكيم القرآن, وتحفيز الأذهان, ليكونوا من جديد ﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ﴾ سورة آل عمران.

فإذا ما أصلحنا أنفسنا تأهلنا لإصلاح الآخرين, وإذا ما حكّمنا ديننا في مخترعاتهم كنا قدوة للمعتدين.

وهنا يبرز دور المساجد, وأئمة المساجد في توعية الناس, فنحن بحاجة إلى أئمة يعيشون مع القرآن ساعة بساعة, ويفهمون الواقع فهماً عميقاً واعياً, يخاطبون الناس بقضايا الساعة, ومن المحبط أحياناً انك تسمع من يتكلم عن مواضيع وفرق اندثرت قبل قرون, وتترك القضايا الراهنة الساخنة الملحة,وهناك من يمارس التنويم لجماهير

الأمة, وهناك من لا يعقل من الأمر إلا موضوع السمع والطاعة... وينسى قول الله عزوجل لموسى – عليه السلام - ﴿اذْهَبْ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَىٰ17﴾ سورة النازعات.

وكأنه لا يعرف قضية الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر... ولا يَعقل قوله عزوجل : ﴿لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَىٰ لِسَانِ دَاوُودَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ۚ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ78كَانُوا لَا يَتَنَاهَوْنَ عَنْ مُنْكَرٍ فَعَلُوهُ ۚ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ79تَرَىٰ كَثِيرًا مِنْهُمْ يَتَوَلَّوْنَ الَّذِينَ كَفَرُوا ۚ لَبِئْسَ مَا قَدَّمَتْ لَهُمْ أَنْفُسُهُمْ أَنْ سَخِطَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَفِي الْعَذَابِ هُمْ خَالِدُونَ80وَلَوْ كَانُوا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالنَّبِيِّ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِ مَا اتَّخَذُوهُمْ أَوْلِيَاءَ وَلَٰكِنَّ كَثِيرًا مِنْهُمْ فَاسِقُونَ81﴾ سورة المائدة.

إن سبب لعن بني إسرائيل الأول هو عدم تناهيهم عن المنكر... قال صلى الله عليه وسلم : " إن أول ما دخل النقص على بني إسرائيل أنه كان الرجل يلقى الرجل فيراه على ما لا يحل فيقول : يا فلان اتق الله, فإن هذا لا يحل لك.. ثم يلقاه

من الغد وهو على حاله فلا يمنعه ذلك من أن يكون أكيله أو شريبه أو جليسه فعند ذلك ضرب الله قلوب بعضهم ببعض ثم لعنهم.." أو كما قال : " ثم قال : كلا والله لتأمرن بالمعروف ولتنهون عن المنكر, ولتأخذن على يد الظالم, ولتأطرنه على الحق أطرا, ولتقصرنه على الحق قصرا, أو ليضربن الله قلوب بعضكم ببعض, ثم يلعنكم كما لعنهم ".

نعم, إن أدواء الأمم متشابهة, ولكل داء من أدواء الأمم عقوبة عند رب العالمين, وليس بين الله وبين أحدٍ من خلقه نسب, إلا الإيمان والعمل الصالح, فمن أصابه الداء استوجب الدواء – نسأل الله العفو والعافية – فَداء شيوع المنكرات عقوبته اللعن من رب الأرض والسماوات.

فعلى الذين يعتبرون قصص القرآن تخص الأمم السابقة أن ينتبهوا ويتدبروا أمرهم, فإن القصص للعبرة والتحذير في الوقت نفسه, لئلا تقع فيما وقعوا فيه فيصيبك ما أصابهم, فالعصيان والعدوان, وترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر , وتولي الذين كفروا, هي العناصر التي تجلب اللعنة من رب العالمين.

ولو تأملنا حال الأمة لوجدنا العصيان كثير, والعدوان منتشر, وترك التناهي ضارب أطنابه, وتولي الكافرين فحدث ولا حرج, وكلها موبقات تستحق اللعن والطرد من رحمة الله, عن لم ندرك الأمر بتوبة نصوح, و إصلاح لحال الفرد والمجتمع, وتوعية حديثة لينتشر الخير وينقمع الشر وأهله, وكما جاء في بعض الحديث ".. أنهلك وفينا الصالحون ؟... قال : نعم إذا كثر الخبث ! ".

فيا دعاة الإسلام اقمعوا الخبث ليسلم للأمة دينها ودنياها.

اتركوا السلبية والانزواء حتى ولو كنتم مستغرقين في العبادات الفردية, فإن دين الإسلام دين جماعي, ويد الله على الجماعة, ومن شذ شذ في النار , و إن لم تملؤوا

على الأمة وقتها وعقلها وفكرها, فسيملأه الأشرار وأهل الانحراف من كل دعيّ ولقيط.

يا أهل المساجد وعمّار المساجد ومصابيح المساجد, أنتم قادة الإسلام ومَعين الخير. أهل الذكر الذين يشفون الغليل, ويداوون العليل, ويوجهون الأمة إلى حيث العزة والمنعة, والثبات, أوقدوا في الشباب روح العزة والكرامة والمبادرة إلى الخير والشعور بالمسؤولية, تجاه دين الله و إعلاء كلمته في الأرض, أميتوا فيهم الأنانية والإقليمية والانتماءات الهابطة والحقيرة والصغيرة, وأحيوا فيهم الانتماء إلى الإسلام وصالحي من يدين به.

﴿وَإِنَّ هَٰذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً...﴾ سورة المؤمنون.

أبي الإسلام لا أب لي سواه إذا افتخروا بقيس أو تميم

الإسلام الذي جعله الله رحمة للعالمين, ومع ذلك هو الإسلام العزيز الذي يأبى الذل, ويرفض الدونية, ويصاول الباطل,ولا يرضى إلا أن تكون كلمة الله هي العليا, ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنْزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ ۖ وَأَنْزَلْنَا

الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ وَرُسُلَهُ بِالْغَيْبِ ۚ إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ﴿25﴾ سورة الحديد.

ولا شك أن دين الإسلام دين رحمة ودعوة إلى الخير والمحبة والمساواة بين الناس أجمعين, ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا ۚ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ ۚ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴿13﴾ سورة الحجرات.هذا لمن هو مستعد للحوار والبحث عن الحق, فإذا ظهر له الدليل اتبع سبيل المؤمنين, وهذا يدل على سلامة فطرته, واستقامة أمره, وصلاح نيته.

فهذا يخاطب بقوله تعالى : ﴿ادْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ ۖ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ۚ﴾ سورة النحل.

وبقوله تعالى : ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ﴿107﴾ سورة الأنبياء.

ويقول صلى الله عليه وسلم : " لئن يهدي الله بك رجلاً واحداً خير لك مما طلعت عليه الشمس ", وهناك صنف آخر من الناس في رأسه كبر, وفي نفسه مرض, وفي قلبه ظلمه, وفي مزاجه التواء, ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَأَنْذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنْذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴿6﴾ سورة البقرة.

فهؤلاء الدعوة لهم لا تجدي, والحسنى معهم لا تنفع, هؤلاء ممثلهم الأول أبو جهل عندما قال : تنازعنا نحن وبنو عبد مناف الشرف, أطعموا فأطعمنا, وحملوا فحملنا,

حتى تجاثينا على الركب, وكنا كفرسي رهان, قالوا : فينا نبي يأتيه الخبر من السماء ! فمتى ندرك هذه ؟ والله لا نؤمن به أبدا ".

هكذا الرجل لا ينقصه الدليل, ولكن تنقصه النية الصالحة, والاستعداد لقبول الحق, وهو صريح كل الصراحة في موقفه, وما أكثر الذين هم على مذهبه في كل عصر ومصر, وما أقل عقول الذين يُهلكون أنفسهم ليأتوا لهم بالدليل المقنع ! هؤلاء لا يحتاجون إلى دليل, بل يحتاجون إلى أقدام مباركة تصعد على صدورهم بعد ان تقصهم السيوف المؤمنة, فتقول لهم : هل أخزاكم الله يا أعداء الله ؟ كما فعل عبدالله بن مسعود رضي الله عنه بأبي جهل !!

نعم, صدق الله العظيم, وبلّغ رسوله الأمين ﴿... وَأَنْزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ وَرُسُلَهُ بِالْغَيْبِ ﴾ سورة الحديد.

إن الحديد, وصنع الحديد, واستعمال الحديد, والحصول على أقصى ما توصل إليه البشر من التقنية في الحديد فرض على أمة الإسلام, كل على قدر استطاعته, فإن تكامل هذا الغرض عندهم, وإلا فالكل آثم على قدر تقصيره.

إن القوة مثل خط مستقيم بين نقطتين خطها هو أقصر خط لإحقاق الحق, " ودعونا من بنيات الطريق ", إن الذي لا يملك القوة لا يحترمه أحد, بل هو عنوان للازدراء والاحتقار والإهمال حتى ولو نطق بالحق المطلق.

إن هناك شيء مركوز في الفطرة البشرية وهو أن الأضعف يقلّد الأقوى..

ونحن نملك الحق الذي أنزله الله, ولكن لا نملك القوة, فكيف نطلب من الناس أن يتبعوا حقنا المنزّل, وهم الأقوياء ونحن الضعفاء ؟!

ولا نتكلم هنا عن القوة الطاغية الباغية والمُهلِكة للحرث والنسل ! ولكن نتكلم عن القوة الرادعة المؤمنة الراشدة, المُسندة للحق المنزّل, التي هي كمبضع الجرّاح الماهر لا تُستعمل إلا عند الحاجة المُلحة وبالقدر المطلوب !

القوة التي يُمثلها ذو الفقار, وسيف أبي دجانة المحمدي الذي فلق به هام المشركين ولكنه رفعه عن هند بنت عتبة إكراماً له – على عجرها وبجرها في حينه -.

فعلى دعاة الإسلام أن يُبَلّغوا دين الله كما أراد الله, لا كما يريده أهل الأهواء, إن دين الله عزيز ولا يرضى الدنية لأهله ولا المهانة من شأنه.

﴿ وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَٰكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ 8 ﴾ سورة المنافقون.

وإن تعجب فعجب شأن أولئك الدعاة الذين اختزلوا آيات الكتاب وحصروها في جانب الدعوة والرحمة وعدم الإكراه وما إلى ذلك ؟! وهذه الآيات بيّنا آنفاً من يواجه بها ويدعو إليها .

ولكن عشرات الآيات القرآنية الأخرى, وواقع حياة رسول الله صلى الله عليه وسلم هي التي مثّلت آيات القرآن, غزواته وسراياه, وبعوثه, وجهاده إلى آخر أيامه صلى

الله عليه وسلم, وجهاد الصحابة من بعده وفتوحهم, الذين هم أقرب الناس, وأحق الناس, وأجدر الناس بفهم آيات الكتاب, وفقه مقاصد الشريعة.

ثم ياتي اليوم وفي آخر الزمان من المتدينين كثير من يلوي في أعناق النصوص, ويفسر التاريخ والسيرة على ما أُشرب من أَكفّ المستشرقين الخبثاء.

وتحت واقع أمة الإسلام المرير, يمدحه المادحون, ويثني عليه الخانعون ! والله يقول وهو أصدق القائلين وفي أواخر ما نزل من السور ﴿ إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَىٰ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ ۚ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ ۖ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِي التَّوْرَاةِ وَالْإِنْجِيلِ وَالْقُرْآنِ ۚ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِ مِنَ اللَّهِ ۚ فَاسْتَبْشِرُوا بِبَيْعِكُمُ الَّذِي بَايَعْتُمْ بِهِ ۚ وَذَٰلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ 111 ﴾ سورة التوبة.

نعم : ها هو السر الوحيد, والدافع القوي, والبرهان الساطع الذي دفع الصحابة والتابعين ومن تبعهم بإحسان إلى هذه الطفرة على العالم مشرقيين ومغربيين يُبلّغون دين الله في الأرض, ولا يخافون لومة لائم !

دعونا من التبريرات التي ربما لم تخطر لهم ببالٍ أبداً !

إن القوم فهموا اللغة, والمعنى التي أشارت إليها الآيات " إن الناس كلهم يموتون, ولكنهم بناء على هذه البيعة يستشهدون" الناس حريصون على صنع الحياة, أي حياة.. وهم يحرصون على صنع الموت الذي يؤدي بهم إلى جنة عرضها السماوات والأرض, الناس يفكرون في الشباب والكهولة والشيخوخة والتقاعد... وهم يفكرون

في ما بعد ذلك من جنة يدوم نعيمها, أو نار يدوم لفحها, وشتّان بين من لا يتجاوز نظره الحياة الدنيا وشهواتها, وبين من يُفكر في الفوز بمقعد صدق عند مليك مقتدر.

أولئك قوم باعوا واشتروا ودفعوا الثمن, ورضوا بالعوض, والوثيقة موثقة في ثلاث كتب سماوية, فلا يقيلون ولا يستقيلون, وليتخطر الآخرون في شهواتهم إن كان هنالك خلود.

إن من يسمع كلام المثبطين, المرجفين يعلم كم هو البون شاسعاً بين ما ندّعي اعتقاده, وبين واقع الحال الذي نعيشه, أو يعيشه الكثير منا, وكأن لسان الحال يقول : إنه لا موت ولا فناء, ولا آخرة ولا حساب و إنما هي الحياة الدنيا نموت ونحيا وما يُهلكنا إلا الدهر !

إن التفكير فيما يؤول له الأمر بعد الموت الذي نسعى نحوه منذ ولدتنا أمهاتنا وكأن قد يجعل الدنيا ولعاعتها هيّنة لا تعدو قدرها ومنزلتها التي جعلها الله فيها.

إن هذا التفكير هو أهم مميزات جيل الصحابة ومن تبعهم بإحسان, كانوا كأنهم ينظرون إلى حقائق الآخرة بأعينهم ويلمسونها بأيديهم, ويقول قائلهم : واهاً لريح الجنة ! ويقول آخر : يا حبذا الجنة واقترابها... ويقول ثالث :

أي يومي من الموت أفرّ يوم لا قُدّر أم يوم قُدّر
يوم لا قُدّر لا أرهبه ومن المقدور لا ينجو الحذر

ويقرأ قارئهم : ﴿قُلْ لَنْ يُصِيبَنَا إِلَّا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَنَا ﴾ سورة التوبة.

ويُذكّر مُذكّر هم بقول رسول الله صلى الله عليه وسلم : " واعلم أن ما أصابك لم يكن ليخطئك, وما أخطأك لم يكن ليصيبك..." نعم : " رُفعت الأقلام, وجفّت الصحف... "

أقول لها وقد طارت شعاعاً — ومن الأبطال ويحك لا تراعِ
فإنك لو سألت بقاء يومٍ — على الأجل الذي لك لن تطاع
فصبراً أفي مجال الموت صبرا — فما نيل الخلود بمستطاع
وما ثوب الحياة بثوب عزٍ — ويُطوى عن أخ الخنع اليراع
سبيل الموت غاية كل حيّ — فداعيه لأهل الأرض داع
ومن لا يُغبط يسأم ويهرم — وتسلمه المنون إلى انقطاع
ولا خير للمرء في حياة — إذا ماعُدّ من سقط المناع

وصدق الرجل فيما قال, ولكننا أحياناً نُمني أنفسنا بالخلود في الدنيا ونغترّ بالأماني..

وقديماً قال قائل المنافقين ما سجله الله في كتابه العزيز : ﴿... قَالَ قَدْ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيَّ إِذْ لَمْ أَكُنْ مَعَهُمْ شَهِيدًا﴿72﴾ ﴾ سورة النساء.

ليتنا نُدرك ونعقل أن الذي يموت هو من انتهى أجله المُقدّر له من رب العالمين, فلا بد إذن أن يبلغ هذا الأجل, ولن ينقص من هذا الأجل إقدام المُتقدم, ولن يزيد فيه إحجام محجم...

من سلّم الله هو سالم   ليس كما يزعم الزاعم

تجري المقادير التي قُدّرت   وأنف من لا يرتضي راغم

وصدق الله العظيم إذ يقول : ﴿... فَإِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ34﴾ سورة الأعراف. ويقول عزوجل على لسان هود عليه السلام : ﴿... فَكِيدُونِي جَمِيعًا ثُمَّ لَا تُنْظِرُونِ55 إِنِّي تَوَكَّلْتُ عَلَى اللَّهِ رَبِّي وَرَبِّكُمْ مَا مِنْ دَابَّةٍ إِلَّا هُوَ آخِذٌ بِنَاصِيَتِهَا إِنَّ رَبِّي عَلَىٰ صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ56﴾ سورة هود.

قد يظن بعض من يقرأ هذا الكلام أن هذه العقيدة ستنتج ذلك المسلم الذي يتصوره البعض – كما قال أحدهم – المسلم الأشعث الأغبر الذي يستلّ سيفه مكبّراً, مقتحماً, صفوف الناس يقطع الرؤوس والأطراف بلا وازع ولا رويّة !

كلّا... ليس هذا هو المطلوب ! إن الله لم يترك لأحدٍ رأي في هذه المسألة, بل قعّد القواعد وأسس الأسس للانطلاق, محدد معالم القوم وبيّن سماتهم أحسن بيان, بعد الآية التي جاء فيها ذكر الشراء للأنفس والأموال, قال تعالى : ﴿التَّائِبُونَ الْعَابِدُونَ الْحَامِدُونَ السَّائِحُونَ الرَّاكِعُونَ السَّاجِدُونَ الْآمِرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّاهُونَ عَنِ الْمُنْكَرِ

وَالْحَافِظُونَ لِحُدُودِ اللَّهِ ۗ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ﴿112﴾ سورة التوبة. هذه هي صفات القوم, فلا يقولنّ قائل, ولا يدعينّ مدعٍ أنها صفات إذا توفرت تجعل منهم ملائكة يمشون على الأرض, فأول صفاتهم التوبة, التوبة الدائمة من كل ذنب, يحرسون سمعهم وأبصارهم وجوارحهم وحتى خواطرهم – إن استطاعوا - ويستغفرون ويتوبون, ويعلمون أنه لا طاقة لهم بالاستقامة على أمر الله إلا بإعانته لهم – إياك نعبد و إياك نستعين - هم يرجون الرحمة ولكن يخافون العذاب, فليس للعجب والغرور إلى قلوبهم سبيل.

والثانية العبادة, العبادة الشاملة التي تنسجم مع قوله تعالى : ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴿162﴾ سورة الأنعام. فلا انتقاء عندهم في دين الله, فهم يضربون في كل غنيمة بسهم, في وقت الصلاة مُصلّون, وفي حين الصيام صائمون, ومع أهل القيام قائمون, وفي الأسحار يستغفرون, وفي يوم الجهاد مجاهدون, ومما رزقهم ربهم ينفقون, وهكذا في كل ميدان من ميادين العبادة تجد أنهم السابقون المفرّدون.

والثالثة هي صفة الحمد, الحمد المطلق لله رب العالمين, الحمد على السراء والضراء, الحمد على الأخذ والعطاء, الحمد على الغنى والفقر, والمرض والعافية, فالكل منه و إليه, وله الحكمة البالغة والعلم المحيط, وما عسى أن ندبّر من أمورنا فقد يكون الخير فيما نكره والشر فيما نحب, فله الحمد في الأولى والآخرة, فالحمد لله حمداً يوازي نعمه ويكافئ مزيده.

والرابعة من صفاتهم هي السياحة (وسياحة أمتي الجهاد) كما جاء في الحديث, وقال آخرون : هي الصيام : لقوله تعالى في وصف أزواج النبي صلى الله عليه وسلم سائحات..فالصيام هو خير كابح للنفس الأمارة بالسوء, فيكسر شهوتها, ويحدّ من تسلطها, ويكسر سوّرتها, فتجد أنهم يُكثرون الصيام, لتسهل لهم قيادة نفوسهم على الصراط المستقيم.

وكم من الناس من هزمته نفسه فأردته في مهاوي الهلاك, فسقطت وثبته, وقلّت هيبته, وساءت سمعته, وربما أهلكت ماله وصحته, ومن ضعف عن هزيمة نفسه فهو عما سواها أضعف ! انظر إلى حال المُدخّن مثلاً, يُحرق نفسه وجيبه, وجوفه وفاه وهو يعلم, كم هو ضعيف أمام نفسه وقس عليه كثيرٌ وكثير . كذلك الذي تهزمه نفسه وهو يسمع النداء – الصلاة خيرٌ من النوم - فيقول لسان حاله – النوم خير من الصلاة – كيف سيقف هذا في صف القتال وهو لا يستطيع أن يقف في صف الصلاة ؟! وشتّان بين الموقفين من حيث الكُلفة في البذل والعناء !

فالصيام هو مدرسة لقمع شهوات النفس, حتى تمتطيها فتسلك بها سبيل الاستقامة, و إلا امتطتك وسلكت بك سبيل الندامة والخسران يوم القيامة.

الراكعون الساجدون : ومن المعلوم قطعاً انهم ليسوا في ركوع وسجود كل الوقت ولكن هذا غالب الحال, فهم لفرط طاعتهم واستجابتهم واستقامتهم, وحسن عبادتهم كأنهم في ركوعٍ وسجود دائمين, ويا لها من صفة فارقة, إذا تكاسل عن أداء فرائض

الله عليهم أو تركوها فهؤلاء مؤدون للفرائض, محافظون على السنن, مكثرون من النوافل والمستحبات, فلذلك غلبت عليهم صفة الركوع والسجود, فمن لم يكن على هذه الشاكلة فليراجع حاله, وليعلم أنها مرتبة عالية لا ينبغي لها إلا أهل الهمم والعزائم, " ومن ضيّع صلاته فهو مما سواها أضيعُ ". كما جاء في الحديث المرفوع أو هو موقوف !

الآمرون بالمعروف والناهون عن المنكر : نعم, إن حب المعروف وأهل المعروف وفعل المعروف, والأمر بالمعروف, يجري في عروقهم وهو جزء أصيل من حياتهم, كما أن بُغض المنكر وأهل المنكر وفعل المنكر المؤدي إلى النهي عن المنكر هو كذلك جزء أصيل من حياتهم, وكل هذا على درجات الحديث : " من رأى منكم منكراً فليغيره بيده, فإن لم يستطع فبلسانه, فإن لم يستطع فبقلبه وذلك أضعف الإيمان ". والحديث الآخر الذي ذكر فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم السلاطين الظلمة : "... فمن جاهدهم بيده فهو مؤمن, ومن جاهدهم بلسانه فهو مؤمن, ومن جاهدهم بقلبه فهو مؤمن, وليس وراء ذلك من الإيمان حبة خردل " نعم, هم الذين يقولون الحق و إن كان مرّاً, لا تأخذهم في الله لومة لائم, ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ لِلَّهِ شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ ۖ﴾ سورة المائدة.

كما أن عندهم من الفقه ما يؤهلهم للأمر بالمعروف والنهي عن المنكر, والموازنة بين الأمور والأولويات, غنهم قوم مُصلحون يُصلحون ما أفسد الناس, وهم مع ذلك

مُخلصون لله, يأمرون وينهون, ويقولون, ويتحركون لله وبالله وفي اللّه, الذي يعلم خائنة الأعين وما تُخفي الصدور.

والحافظون لحدود اللّه : إنهم يقفون على حدود اللّه كالحرس, يحرسونها من أنفسهم ومن غيرهم, بل ويحذّرون من قربها, لأن من حام حول الحمى أوشك ان يرتع فيه, إنها حدود الأوامر والنواهي, إنها حدود ما أنزل اللّه على رسوله صلى اللّه عليه وسلم, التي من تعدّاها فقد ظلم نفسه, إنهم قوم يلتمسون رضى مولاهم, ومن لم يحفظ حدوده فما التمس رضاه, وإن البلاء كل البلاء, العمل بمعصية اللّه, في زمن البلاء.

هذه هي الصفات التي نوّه اللّه بها لعلّ أهل البيعة يلتزمون بها, لتكتمل بيعتهم, وتزكوا نفوسهم, ويصلحوا لجوار ربهم," ألا إن سلعة اللّه غالية, ألا إن سلعة اللّه الجنة " لا شك أن هذه هي مؤهلات النصر والتمكين في الأرض, هؤلاء الذين يجعلون من غلبة الإسلام وتمكينه رحمة للعالمين, وليس وراء هذا الصنف من الناس مطمع في صلاح وإصلاح ﴿الَّذِينَ إِنْ مَكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ ۗ﴾ سورة الحج.

ماذا يتوقع الناس من مؤمن تائب, عابد حامد, سائح, آمر بالمعروف ناهياً عن المنكر, حافظ لحدود اللّه ؟!!

إذا لم يرحم مثل هذا فمن يرحم ؟ إذا لم يعدل فمن يعدل ؟ إذا لم يُصلح فمن يُصلح ؟!

إن هذا الفهم للإسلام وتكاليفه والاستقامة على تعاليمه هي التي أنتجت رحمة أبي بكر, وعدل عمر, وسماحة عثمان, وبطولة عليّ وزهده رضي الله عنه أجمعين. وهكذا بقية الأخيار من الصحابة والتابعين لهم بإحسان.

فلا كبر ولا تجبر ولا غطرسة,ولا ظلم, ولا بغي, بل هم قوم فهموا ما لهم وما عليهم, فوقفوا عند حدود الأمر والنهي طاعةً لله تعالى والكل لسان حاله يقول : ﴿..إِنِّي أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ15﴾ سورة الأنعام.

هذه هي المبادئ والتعاليم التي تُصلح الناس في كل عصر ومصر, وبغير هذه المبادئ والتعاليم يصبح الناس مجموعات من العصابات والأفراد المتسلطين, وآخرين مُستعبَدين, مستذلّين, يجترون الحقد والضغينة, وينتظرون الفرصة للوثوب على من استعبدهم وأذلّهم, ليستعبدوه ويذلّوه....

ولكن من ينشر هذه المبادئ والتعاليم بين الناس ؟! إنها تكاليف عظيمة ومهمات ثقيلة لا يستطيعها إلا الدعاة الوعاة, وأثقلهم حِملاً أئمة المساجد, الذين يعرضون عقولهم على الناس كل أسبوع وأكثر من ذلك, إنهم يُمثّلون الإسلام في نظر الناس, حتى وإن رأوا هم في أنفسهم أنهم دون ذلك, فليحذروا ولينتبهوا أن يُؤتى الإسلام من قِبلهم, لا يؤتى الإسلام من قِبل تهاونهم أو جهلهم, أو ضعف نفوسهم, أو حرصهم وطمعهم, أو غير ذلك..مما يشين وينظّر ويتيح المجال لذوي النيّات الخبيثة, والألسن السليطة, والأقلام المسمومة.

ومن مهماتهم مواكبة الأحداث, وعدم الهروب من عصرهم ومما يشغل الناس, بل على من يُمثّل الإسلام أن يُبدي رأيه, وأن يتعوّد جمهور المسجد على أن ينتظروا ويُقدّروا رأي الإسلام في قضايا الأمة, مستنداً إلى الدليل والبرهان من الكتاب والسنة, وفعل الصحابة رضي الله عنه .

إن من المحبط لجمهور المسجد هروب الخطيب والمدرّس من القضايا المُلحة وإخفاء رأسه في الرحل, وكأنه قد خرج من بين أهل القبور او أنه يعيش في غير كوكبهم. إن الذين يجعلون ديدنهم في الكلام عن الموت والقبر وعذاب النار وهوان الدنيا هروباً من الكلام في قضايا إصلاح الأمة, هم في الواقع يقتلون الشباب المتحمس, ويغتالون الهمم العالية, ويكبتون الطموح, ويُميتون روح العزة في الأمة, والأدهى من ذلك إذا أحلنا فشل الأمة وتخلفها واستعباد عدوها لها على القَدَر لنريح أنفسنا من المسؤولية عن التقصير في الإعداد والاستعداد, وهذا ليس من الدين في شيء !

ومن هنا تنشأ عدم المبالاة بما يُصيب الأمة, وأحياناً ازدراء شأن من يهتم بأمر المسلمين ! ومن هنا تنشأ روح السلبية والانزواء والانكفاء على النفس, وما أسوأ عاقبة هذا الفهم على أمة الإسلام وباب الإسلام !

رأت عائشة شباباً مطرقي الرؤوس متذللين فقالت : من هؤلاء ؟! قيل لها : نُساك, قالت : كان عمر رضي الله عنه إذا قال أسمع, و إذا أطعم أشبع, و إذا ضرب أوجع وكان الناسك حقاً !

إنهم قوم فهموا القرآن, وعاشوا مع السنة العملية لرسول الله صلى الله عليه وسلم, إسلام الفهم والعِلم, إسلام الدعوة والرحمة, إسلام الدولة والشريعة, إسلام الجهاد والاستشهاد, إسلام الزهد والعبادة والإخبات, إسلام الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر, والبعض منا يريد بل ويجتهد ليجعل من الإسلام مختزل في المسجد أو في العبادات الفردية, او الهروب من مقارعة الباطل ومصاولته بكل أشكاله وألوانه. ألم يكن قائل الصحابة رضي الله عنه يقول على مرأى وسمع من رسول الله صلى الله عليه وسلم :

ولسنا على الأعقاب نرمي كلومنا ولكن على أقدامنا تقطر الدما !!!

يا خيبة للفهم السقيم في عصر هزيمة النفوس, وطأطأة الرؤوس, وانطفاء روح العزة والإباء, عزة الحق والانتماء إلى أهل الحق !

إن من حكمة الله البالغة في خلقه أن جعل لكل مخلوق وسيلة يدافع بها عن نفسه, أو يُحافظ بها على نفسه, كالهرب مثلاً, وديننا دين الفطرة, وقرآننا حافل بالآيات التي تحض على الجهاد والعزة ودفع الظالمين, ونصرة المستضعفين, ونشر دعوة الله بين العالمين, وكل هذه الاهداف السامية تتطلب إعداد العدّة الإيمانية, والبشرية, والعسكرية والتقنية, والمتتبع لأحداث السيرة النبوية يرى هذا الأمر مَعلماً واضحاً في حياة رسول الله صلى الله عليه وسلم وصحابته الكرام رضي الله عنه فقد جاهد صلى الله عليه وسلم للدفاع عن النفس, وجاهد لإعلاء كلمة الله, وجاهد لنصرة المستضعفين, ولا أكون مبالِغاً إذا قلت : إن مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم بل والمدينة بأسرها كانت ثكنة عسكرية بلغة العصر, فالناس شغلهم الشاغل هو الجهاد والاستعداد وحديث الجهاد !

نعم, إنه إعداد القوة الرادعة, الرحيمة, الواعية, التي تصول بالحق وللحق ومن أجل الحق ! فعلى الذين يجردون الإسلام من هذا الجانب المهم أن يراجعوا أنفسهم, وان يذكروا قول الله عزوجل : ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ تِجَارَةٍ تُنْجِيكُمْ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿10﴾ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ ۚ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿11﴾﴾ سورة الصف.

وقوله تعالى : ﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ۚ أُولَٰئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ ﴿15﴾﴾ سورة الحجرات. وغير ذلك كثير...

وأنا أقول إن في ديننا من النصوص في الكتاب والسنة – وخاصة في زمن تكالب الأمم علينا - ما يُحتّم على كل مسلم أن يكون عسكرياً بكل معنى الكلمة من حيث اللياقة والتدريب على كل ما توصل إليه البشر في هذا الجانب, كل حسب استطاعته, بل والاجتهاد في ذلك وعدم التهاون, وجاء في الحديث : " من عُلّم الرمي فتركه فليس منا, أو فهي نعمة قد كفرها ", "... ولا يعجزن أحدكم أن يلهو بأسهمه ".

حتى إذا دعا الداعي و إذا بك لبِنَة صالحة مُصلحة للأمة, ولو أننا حرصنا على هذا الأمر من قبل – والذي هو من صميم ديننا – لما لعب بنا الأعداء لعب الصبيان بالكرة, و إنها لفرصة للشباب المؤمن في الأقطار التي تطلبهم للتجنيد – خدمة العلم – ليتمرسوا في هذا الجانب مع حفظهم لدينهم, واستقامتهم, وعدم ركونهم للظالمين. لعلّ الله أن يجعلهم من جنوده الذين : ﴿... يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَائِمٍ ۚ ذَٰلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ ۚ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ 54﴾ سورة المائدة.

هذا هو الحق الذي لا مرية فيه, وليقل المتخاذلون ما شاؤوا, قد يقول قائل : هذا إرهاب, أو انتحار, أو غير ذلك من المصطلحات..!

وأنا أقول : لا ! هذا ديننا الكامل الذي رضيه الله لنفسه, دين الدعوة والرحمة, وحرمة سفك الدم إلا بحقه, ولكنه دين القوة والعزة , والمنعة, ورفض الظلم والذلة, والاستكانة والسلبية.

قد يرى بعض الناس هذا الكلام غريباً في هذا العصر, عصر الهزيمة والتبعية والعمالة, عصر الترهّل والسمنة وأنوثة الرجال, وزركشة الشباب, وهبوط مستوى الاهتمامات حتى شغلنا الناس بكرة القدم, فأصبحت وكأنها وثنٌ يُعبد ! بينما الأمة في شر حال من التخلف والاستباحة والهوان !

وما عسى أن تصنع الأمة بالكرة ؟! فيا أسفاً على شبابنا, ويا بؤساً لمن زيّن وأضلّ وأغوى وألهى ! والأدهى والأمر الدعوة إلى فِرق رياضية نسائية ومباريات يحث عليها كل عُتل زنيم وديوث لئيم, حتى يضيف إلى بؤسنا ولهونا إثارة الشهوات ونشر الموبقات !... ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُحِبُّونَ أَنْ تَشِيعَ الْفَاحِشَةُ فِي الَّذِينَ آمَنُوا لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ ۚ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ19﴾ سورة النور.

فيا أهل المساجد, ويا دعاة المساجد, ويا أئمة المساجد, انتبهوا لعظيم دوركم الذي جعلكم الله فيه, وتفقهوا في دينكم, وادعوا إلى الإصلاح ليبلوكم ويبلو بكم, فالناس الذين يجتمعون عليكم كل جمعة فيهم صلاح وخير, حتى من تشكّون في خيريته فإن فيه بقية خير, وإلا لما جاء واستمع إليكم, فأنزلوا الناس منازلهم, وكلموهم بما يهمهم, ويصلحهم, واستثيروا فيهم بقية الخير الذي عندهم, وذكّروهم بحَميّة الإسلام, وعزة الإسلام, والغيرة على الإسلام وأهل الإسلام.

علّموهم أن التدين الصحيح هو الاستقامة الكاملة على العقيدة الصحيحة, والشريعة الكاملة, والمعاملة الإسلامية, والأخلاق النبوية.

وغن في القرآن لعبرة في الموازنة بين أوامره ونواهيه, فتجده يأمر بالاستعداد للآخرة, وهو يشرّع للدنيا, يزهّد في العاجلة, وهو يبيّن للحاكم والمحكوم ما يجب عليه. هو رحمة للعالمين ومع ذلك يأمر بضرب أعناق الكافرين المعتدين, وغير ذلك كثير, فالقرآن حاكم على الحاكم, وقاضٍ على القاضي, وتشريع للمشرّع, وقائد للمجاهد, ومربٍ للمربي, ومعلم للمعلم, ورقيب على المؤتمن, ولا يستطيع من يتعلمه لله الفكاك من تأثيره مهما كان موقعه وحاله إلا إذا ترك شيئاً من دينه.

فهذا ما يجب أن يُدعى إليه, ويتعلمه الناس, ليعم الخير, ويُغلب الشر, فالدعوة المُجزأة حسب المزاج لا تجدي نفعاً, ولا بد ان تصل غلى انفصام والتواء, فالإسلام كلٌّ متكامل, فلا تجتزئ منه لتعالج قضايا هي من إفرازات الأوضاع المنحرفة عن الإسلام اليوم, فمن فعل ذلك فقد أتعب نفسه , ولم ينل بغيته, لا تسقِ بالإسلام زرع غيره!

إن الإسلام الكامل شيء آخر تماماً, له طعم ولون وريح, لا يُشبهه ولا يشتبه به شيء من غيره إلا على سبيل المصادفة وغير القصد, يحرث ويزرع, ويسقي ويتابع ثم يحصد, فمن أراده حقاً فهذا هو الطريق, دعونا من الترقيع والتلفيق.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ادْخُلُوا فِي السِّلْمِ كَافَّةً....﴾ سورة البقرة.

أي في جميع شرائع الإسلام.

﴿صِبْغَةَ اللَّهِ ۖ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ صِبْغَةً ۖ وَنَحْنُ لَهُ عَابِدُونَ﴾138 سورة البقرة.

وبناءً على هذه النظرة الشاملة للإسلام, فإذا ما قمنا بإلقاء نظرة على أقطار الإسلام اليوم فسنرى عجباً من الانحراف عن منهج الإسلام المستقيم.

قوم يحكمون بغير ما أنزل الله, الاقتصاد يقوم على الربا الذي حرّمه الله وأعلن الحرب على من لم ينته عنه, وهو كبيرة من الكبائر, استباحة الحر والحرير, والخمر والمعازف, وقاصمة الظهر, والارتماء في احضان الأعداء, والبالغة والتسابق للانبطاح تحت أقدامهم, ليضمن الحاكم بقائه على كرسي السلطنة, التخاذل والتثبيط عن نصرة المستضعفين من المسلمين, الذين اُحتلّت أرضهم, واُنتهك عِرضهم, واستبيح حماهم.

ربٌّ وامعتصماه انطلقت ملء أفواه الصبايا اليُتّمِ
لامست أسماعهم لكنها لم تصادف نخوة المعتصمِ

اختلاس الأموال ونهبه, والمحسوبيات قاعدة من قواعد القوم.

إعلام للتمجيد والنفاق الرخيص, والإلهاء والتنويم و إثارة الشهوات !

تعليم فاشل, ومناهج معولمة لسلخ الامة من ثقافتها ودينها وتجهيلها.

والقائمة تطول لها بداية وليس لها نهاية, ومع ذلك يقولون : مكتوب في الدستور " دين الدولة الإسلام " ولا أدري عن أي إسلام يتحدثون ؟!

عجيبٌ هذا الإسلام الخاص الذي أباح لهم كل هذا.

ولو أن عمر رضي الله عنه بُعث حياً بيننا اليوم ومعه رفاق دربه من العُصبة المؤمنة الاولى لكسر الدرة على رؤوس هؤلاء, بل ولدعا بسيف علي رضي الله عنه ليضرب به مستقر الذلّة والنفاق من رؤوسهم.

إن حرب الردة قامت على قوم أكثرهم لم يكفر بالإسلام الذي دخل فيه, ولكنه منع الزكاة, أو رفض تسليمها إلا لمن صلاته سكن لهم – أي النبي صلى الله عليه وسلم – ومع ذلك أجمع الصحابة رضي الله عنه على قتال من فرّق بين الصلاة والزكاة !!

وقامت الحرب على ساق, وانطلقت الجيوش المُجاهدة, ترد الناس فيما خرجوا منه بالدعوة والبيان ولكن إن كان ولا بد فبالسيف والسنان.

هذا هو الإسلام الكامل, يا من تبررون وتعذّرون عن كل مُتسلّط مخلط.

يُظهر عُشر الإسلام الكامل, ويبطن – بل ويَظهر على صفحات وجهه وفلتات لسانه بل وأقواله وأفعاله – ما ينقض الإسلام أولاً وثانياً وعاشراً !!

وأقلّ أحواله أن هذا الصنف من الناس لا يصلح أن يتولى أمراً من أمور الأمة ! إذا كانت الشهادة في الإسلام لا بد فيها من شاهد عدل! فكيف بشاهد يشهد على الأمة, إذا كان الفاسق تسقط عدالته وتُردّ شهادته في قضايا هي دون ولاية أمر المسلمين بكثير, فكيف يُقبل هؤلاء ؟!! من الذي بايعه وأقرّه على ما هو فيه ؟! قد

تكون هناك مجموعة من حوله من المنتفعين ومن هم على شاكلته, مع أن الواحد منهم لا تقبل أن تأتمّ به في صلاتك ! فمن لا تقبله لدينك لا تقبله لدنياك ! من أين له الشرعية التي يدّعيها هو ومن أفتاه ؟! هؤلاء بُغاة ظَلمة من جاهدهم بيده فهو مؤمن, ومن جاهده بلسانه فهو مؤمن ومن جاهدهم بقلبه فهو مؤمن وليس وراء ذلك من الإيمان حبة خردل.

إنهم لا يشبهون من أتى بعد عصر الراشدين في شيء إلا في سلبياتهم وأخطائهم !

لقد كان الإسلام في ذلك العصر غالباً ومهيمناً بل ومُتقدماً في مشارق الأرض ومغاربها, ونحن اليوم لم يبقَ لنا مُقدّس إلا واستباحه أعداء الله, والملأ في سكرتهم يعمهون, وفي غيّهم سادرون, وعلى وثنهم عاكفون, فإنا لله و إنا إليه راجعون !

أوليس من ديننا الحجر على السفيه الذي لا يُحسن إدارة مال نفسه ؟ فكيف بمن يُدير دولة ويختلس أموالها, ويعبث بمقدراتها ؟! بل وَيُضيّع اقتصاد الدولة لمصلحة مشاريعه وصفقاته هو ومن يُسبّح بحمده من الأصحاب والأحباب ؟! ويطلقون عليه الأسماء الحسنى والصفات الفضلى !

يا سادتنا... العلماء, والفقهاء, وأهل الافتاء, أفتونا وأفيدونا وأريحونا, أفادكم الله وغفر لنا ولكم وهدانا و إياكم سواء السبيل.

أوليس من الأصلح لأمة الإسلام أن تتبع سبيل التغيير السلمي, والاحتجاج السلمي وعدم تخريب الممتلكات, وأن تكون هناك أذن صاغية من جانب أهل السلطة للتفهم

والاستجابة لمطالب الإصلاح ؟! أوليس هذا خير ألف مرة من التعامل المعهود من الصمم والقمع وسفك الدماء واعتقال المخالفين ومعاملة الناس على طريقة " هذا من شيعتنا وهذا من عدونا ", فريق في الجنة وفريق في السعير, سعير البؤس والفقر والقمع, وتعطيل المصالح, وتعويق مسيرة الحياة !

أولم نسمع من الناس أن عصر الإقطاع قد تولى إلى غير رجعة ؟! وهل أصبحت ولايات وأقاليم الدولة الإسلامية الأولى اقطاعات يتوارثها الأبناء عن الآباء ؟ وكأنها قطيع من الانعام أو مزرعة دواجن !

بأي حق يجوز لهؤلاء أن يفعلوا ما يشاءون بأمة كانت خير أمة أُخرجت للناس تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر ؟! وهل هناك منكر أكبر مما يقع على المسلمين من ولاتهم من ظلم وغشم واستبداد وطغيان ؟! هذا هو سبب التخلف والاحتلال والضياع والغثائية والسلبية وعدم الإبداع.

وصدق الله العظيم القائل : ﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ ﴾ سورة الرعد.

﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ ۚ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ۝90﴾ سورة النحل.

﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ ۚ﴾ سورة النساء.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ شُهَدَاءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَىٰ أَنْفُسِكُمْ أَوِ الْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ ۚ إِنْ يَكُنْ غَنِيًّا أَوْ فَقِيرًا فَاللَّهُ أَوْلَىٰ بِهِمَا ۖ فَلَا تَتَّبِعُوا الْهَوَىٰ أَنْ تَعْدِلُوا ۚ ﴾ سورة النساء.

أين نحن من ديننا الذي أساسه العدل حتى مع المُخالفين والأعداء ؟!

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ لِلَّهِ شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ ۖ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَىٰ أَلَّا تَعْدِلُوا ۚ اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ ۖ ﴾ سورة المائدة.

وفي الحديث القدسي يقول الله تعالى : " اشتد غضبي على من ظلم من لم يجد له ناصراً غيري ".

إذا جار الأمير وحاجباه ... وقاضي الأرض أسرف في القضاء

فويلٌ ثم ويلٌ ثم ويلٌ ... لقاضي الأرض من قاضي السماء

جاء في الحديث : " اتقوا الظلم فإن الظلم ظلمات يوم القيامة...".

لا تظلمنّ إذا ما كنت مُقتدراً ... فالظلم ترجع عُقباه إلى الندمِ

تنام عيناك والمظلوم منتبه ... يدعو عليك وعين الله لم تنمِ

والنداء العلوي الإلهي : ﴿... أَلَا لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ 18﴾ سورة هود.

إن الدين القويم الذي يتمسح به بعض القوم هو دين الرحمة, دين العدل, ومحاربة الظلم, دين مساواة بين الناس,قبل أن يعرفها كثير من الناس, دين نصرة المستضعفين, دين الذلة على المؤمنين والعزة على الكافرين, دين المراقبة على النفس ومُحاسبتها, ﴿قُلْ إِنِّي أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ15﴾ سورة الأنعام. دين التحاكم إلى شريعة رب العالمين. نحن قوم أكرمنا الله بالإسلام ليكون لنا دستوراً ومنهج حياة ولا يعنينا رضى أو غضب المخالفين, هذا إذا كنا موحّدين حقاً !

إن الإسلام الحق الذي جاء به محمد صلى الله عليه وسلم لا يدع ما لله لله ولا ما لقيصر لقيصر كما يقال.

بل مُجرّد قولك : لا إله إلا الله فأنت تدخل تحت حكم الله في كتابه وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم, الحاكم والمحكوم سواء, وما انحرف المحرفون إلا بقدر ما في نفوسهم من الجهل أو الكبر عن التسليم لحكم الله ورسوله.

وأمر المسلمين شورى بينهم, يُستشار أهل الحل والعقد, أهل الدين والتقوى, أهل الاختصاص والتجربة, ولن تجتمع الأمة على ضلالة, وأما تأليه الأشخاص, والهيئات وفرعنة السلاطين فليست من الإسلام في شيء.

ولا بأس باقتباس الوسائل والطرق التي تعين على معرفة رأي الناس فيما يهمهم وكل هذا فيما لا نصّ فيه, وأما ما نصّ عليه صريح القرآن وصحيح السنة, فلا مجال للاجتهاد فيه.

كم نحن بحاجة ماسّة إلى العودة لديننا وفهمه, والتفقه فيه, والاستسلام المطلق لأحكامه وتعاليمه, لنسعد في الدنيا والآخرة, بعد هذا التنكر له والتفلّت بل والانقلاب عليه, والاجتهاد من كثير من المتنفذين في الأمة بطمسه, وتشويهه, وازدراء واتهام المتمسكين به, لأنه يقول : ﴿إِنَّ هَٰذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً...﴾ سورة الأنبياء.

وهم مشتتون كل يدعي أنه وحيد عصره, وفريد مصره, وهو يقول : ﴿ إِنِ الْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ﴾سورة الأنعام.

وهم يستوردون حكم كل طاغوت, وهو يقول : ﴿ وَيْلٌ لِلْمُطَفِّفِينَ1﴾ سورة المطففين. وهم يطففون في كل شيء..

تموت الأسد في الغابات جوعاً ولحم الطير يُرمى للكلاب

وهو يقول : ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَذَرُوا مَا بَقِيَ مِنَ الرِّبَا...﴾ سورة البقرة.

وهذه هي الوسيلة لانتفاخ اقتصادهم التي لا يُحسنون غيرها, وهو يقول : ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُحِبُّونَ أَنْ تَشِيعَ الْفَاحِشَةُ فِي الَّذِينَ آمَنُوا لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ...﴾ سورة

النور. إذاً كيف يلهون ويُحذّرون الجمهور الكريم, ويثيرون دخان الشهوات حتى يتقدموا إلى أهدافهم الرخيصة, واهتماماتهم الهابطة, وهو يقول : ﴿انْفِرُوا خِفَافًا وَثِقَالًا وَجَاهِدُوا بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ۚ﴾ سورة التوبة.

وكيف يكون هذا في عصر السلام والوئام والشرعية الدولية والاستقامة الملتوية.

وقتل امرئ في غابة جريمة لا تغتفر وقتل شعب مسلم قضية فيها نظر !

وهو يقول : ﴿أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا ۚ وَإِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ 39 الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ بِغَيْرِ حَقٍّ.....﴾ سورة الحج.

وهذا يُنغّص العيش على الملأ من القوم في كثير من بلاد الإسلام وعلى رأسها فلسطين, التي كانت ولتزال تتصدر البيانات الختامية حيناً من الدهر فهي القضية المركزية كما قيل, ثم أُنتشِلت من المحيط الإسلامي لتزرع في الحديقة العربية, ثم أُنتزعت لتغرس في القارورة الفلسطينية وسط الهتاف والتصفيق لحصولنا على استقلال القرار والشرعية, الذي وُلِد من رحم جثمان القضية, ثم, ثم, ثم, ويا بؤساً لثمّ!!!

وها هي إسرائيل مُحاصرة تلعق جراحها, وتمضغ عجزها من هجوم السلام, ودفع عجلة السلام ولا تنسى المبادرة العربية, التي تهدد بها إسرائيل بين الحين والآخر !

.... وإلا لن تبقَ على الطاولة, والبركة في الدولة التي نتوهم أنها ستولد في بعض زعانف فلسطين, لنهتف ونصفق بأنه : ها هي دولة فلسطين قد قامت, وها هو الحق قد عاد إلى أصحابه !! مع أنه لم يتغير هذا إن تغير إلا الأسماء, وكل شيء يُراوح مكانه, وفلسطين هي فلسطين من النهر إلى البحر, وهي التي أُغتصبت من المسلمين في النكبة والنكسة, ضيّعنا فلسطين في ذلك الوقت, ولم نُضيّع دولة أنابيب لنكتشفها اليوم, ونجعل من قيامها هدفنا الأسمى, فلسطين درّة دار الإسلام, ودرّة فلسطين القدس, ودرّة القدس المسجد الأقصى, والأدهى والأمرّ أن كثيراً ممن يتحدثون عن فلسطين والقدس والأقصى لا ترى منهم ولا تسمع, ولا تشم رائحة الإسلام, بل هو مسلم بالهوية أو بالولادة, وهو لا يفتأ يُحارب الإسلام بأقواله وأفعاله, وهذا الصنف من الناس أقلّ وأذلّ من أن يمنحهم الله شرف النصر وتحرير بيت المقدس وأكناف بيت المقدس, يقول تعالى : ﴿فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ أُولَاهُمَا بَعَثْنَا عَلَيْكُمْ عِبَادًا لَنَا أُولِي بَأْسٍ شَدِيدٍ...﴾ سورة الإسراء.

نعم, عباداً لنا أولي بأس شديد... عبودية خالصة للرحمن, وشدة بأس وكلتا الصفتين لا نراهما في حياة القوم !

فما على المسلم الحق إلا أن يستقيم على أمر الله, ويرفع من مستوى إيمانه ويقينه, ووعيه واستعداده وأن ينتمي إلى صالحي أمته, لعل الله أن يمنحه شرف الجندية في معسكر عباد الرحمن الذين ينصرون أمر الله في أنفسهم فينصرهم الله على عدوهم, فيجوسوا خلال الديار ويتبّروا ما علوا تتبيرا !

وما ضرّك ألا ترى النصر بعينيك, إذا كنت تسعى وتعين من يسعى إلى ذلك اليوم, فإن الله عزوجل لا يسألك عن النتيجة, ما دمت قد أخذت بأسباب النصر الإيمانية, والمعنوية, والمادية, فقد يكون لك نصيب شريف مع شهداء بدر وأحد وبئر معونة, الذين لم يشهدوا يوم الفتح, وتحطيم معاقل الشرك, ولكنهم كانوا الجسر الذي عبرت عليه جحافل الإيمان لتملأ الدنيا قسطاً وعدلاً كما مُلئت جوراً وظلما... ﴿ وَمَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ لِلَّذِينَ آمَنُوا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ36﴾ سورة الشورى.

هذا هو طريق التحرير والنصر , والكرامة, وما سوى ذلك فوسواس الشياطين, وأماني المُفلسين, وخزعبلات المهرّجين, وتدليس المنافقين, وأراجيف المُثبطين, ﴿وَلَوْ أَرَادُوا الْخُرُوجَ لَأَعَدُّوا لَهُ عُدَّةً وَلَٰكِن كَرِهَ اللَّهُ انبِعَاثَهُمْ

فَثَبَّطَهُمْ وَقِيلَ اقْعُدُوا مَعَ الْقَاعِدِينَ46﴾ سورة التوبة. ويا عجباً من بعض من يتولّى امر الدعوة إلى الله تعالى حين يقول : أنا أدعو الناس إلى الإسلام, ولكن لا دخل لي في السياسة... هذا شأن من يهمه الأمر !!!

وهذا فهم سقيم وخطأ فادح, وهل السياسة لا تحل إلا لأهل الفسق والفجور ؟!!

أوليست السياسة هي : سياسة الناس بشرع الله القويم, أولم يكن رسول الله صلى الله عليه وسلم يحكم الأمة, ويقود الجيوش, ويقضي بين الناس, وينفّذ الحدود والأحكام, ويراسل الملوك, ويعقد المعاهدات, ويعلن الحرب, ويُشرّع للمعاملاتِ ويؤمّر على

السرايا, ويعيّن الولاة, ويصرف من بيت المال على من يجب أو من يستحق, ولا أدري ما الذي بقي من السياسة بعد هذا كلّه.

وكل هذا كان يتم بحكم قرآني سابق أو لاحق, أو موّجه, أو في ما يُفهم من الأحكام الكلية والاجتهادات النبوية.

وكيف يستقيم حال الأمة إذا أعطي للمنحرفين تولّي هذه الأمور يعبثون بها بعيداً عن توجيهات القرآن, وحكم الرحمن ؟! والسلبيون من رعاتنا في زواياهم متقوقعون, ثم بعد ذلك نصيح في الناس : أن اتقوا اللّه... وهيهات إن الناس يميلون إلى العاجلة بفطرتهم, والعاجلة وزخرفها أنت تركتها لمن يهمه الأمر !! فسيّرها وجهة أخرى, بل هو ومن خلال موقعه يكاد أن يملك القلوب والأسماع والأبصار, والأرزاق أو هكذا يُخيّل لكثير من الناس ﴿ إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَقَلِيلٌ مَا هُمْ ﴾ سورة ص.

ولو أن الدعاة اجتهدوا, وعلّموا الناس أن هذا الموقع هو مما يعين الأمة على الاستقامة إذا تولّاهم مستقيم, لناصرَهم الناس حتى يُبلّغوهم إياه, ومن خلاله يُصلحون في سنوات ما لم يستطيعوا أن يُصلحوه في عقود وقرون, لو أمكنهم العيش, إن الله ليزع بالسلطان ما لا يزع بالقرآن.. وما ذلّ الإسلام إلا بعد ما ذلّ السلطان, وتسلطن أهل الانحراف والأهواء, جاء في الحديث : " ليوم من سلطان عادل, خيرٌ من عبادة سبعين سنة " أو كما قال, وقال صلى اللّه عليه وسلم : " لحدّ يقام الأرض خير من أن يُمطر الناس أربعين صباحاً "... (وأول السبعة : إمام عادل)!

والذي لا يعيش الإسلام في نفسه, كيف يمنحه إلى غيره هدىً وصلاحاً, ومنهج حياة – وفاقد الشيء لا يعطيه – وكل إناءٍ بما فيه ينضح !

دعونا من قول : (من غلبت شوكته وجبت طاعته), فإن القول الفصل في ذلك أنه (لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق), و إنّ كُلفة تولّي المفسدين على الأمة أعظم وأكبر من كلفة دفعهم عن هذا الموقع, والتدرج معهم في الوسائل والأساليب كدفع الصائل فإنه يجب على أن تكون كلمة الله هي العليا في حكمه, وشرعه, وأوامره, ولا يعتذر أهل السلبية بالواقع... فبما بُعث الأنبياء والرسل إلا لتغيير الواقع السيء, ﴿اذْهَبْ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَىٰ24﴾ سورة طه.

ولا يخفى على من يعرف القرآن جواب القوم لرسلهم ﴿قَالَ الْمَلَأُ..﴾ سورة الأعراف.

﴿قَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا....﴾ سورة الأعراف. ﴿قَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا....﴾ سورة الأعراف.

والملأ هم عليّة القوم وكبراءهم, وهم الذين يفسدون على الناس دينهم بالترغيب والترهيب, فإن صلحوا صلح بصلاحهم بشر كثير...

فكان من البديهي أن يحرص الأنبياء على دعوتهم, فإن لم يستجيبوا اجتهدوا في إزالتهم حتى يكون الدين كله لله.

وإن أول ما دخل النقص على هذه الأمة, أنهم تهاونوا مع السلاطين الظلمة, المنحرفين عن الصراط المستقيم, وأخذوا معهم بالرخصة, ولم يأخذوا بالعزيمة, بل وأحياناً لم يأخذوا بالواجب الشرعي " وأعظم الناس شهادة رجلٌ قام إلى سلطان جائر, فأمره فنهاه فقتله ".. وإن في ثورة سيّد شباب أهل الجنة وسبط محمد صلى الله عليه وسلم على الظلم والجور والانحراف ما فيه عبرة لمن ألقى السمع وهو شهيد. فعندها تخرس الألسنة, ويعيا الجواب, عندها خطّ بدمه ودم أهل بيته الأطهار طريقاً مستقيماً بين طرق معوجة كثيرة, ومضى لسبيله شهيداً يشكو إلى الله ظلم الظالمين, وخذلان المتخاذلين !

هذا هو الحق الذي لا مرية فيه, بعيداً عن غلوّ المغالين, وتشويش المتحاملين, لا يحتاج إلى كثير بهرجة وحذلقة, بل هو قال الله وقال رسوله صلى الله عليه وسلم, أو ما فُهِم من ذلك, كقواعد اتفقت عليها الأمة, أما التضخيم, والاجتزاء, وإرضاء الأهواء, فيحتاج إلى كثير من القول, واصطناع الأدلة والبراهين, حتى يُفضي إلى التناقض أحياناً, يقول الله تعالى : ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ ۚ﴾ سورة الأنعام.

عن حذيفة بن اليمان رضي الله عنه قال : " كان الناس يسألون رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الخير, وكنت أسأله عن الشر, مخافة أن يدركني, فقلت : يا رسول الله إنا كنّا في جاهلية وشر, فجاء الله بهذا الخير فهل بعد هذا الخير من شر ؟! قال : نعم, قلت : فهل بعد ذلك الشر من خير ؟! قال : نعم, وفيه دخن, قلت : وما دخنه ؟ قال :

قوم يستنون بغير سنتي, ويهدون بغير هديي, تعرف منهم وتنكر, قلت : فهل بعد ذلك الخير من شر ؟ قال : نعم, دعاة على أبواب جهنم, من أطاعهم قذفوه فيها, قلت : صفهم لنا. قال : هم من جلدتنا ويتكلمون بألسنتنا . قلت : فما تأمرني إن أدركني ذلك ؟! قال : تلزم جماعة المسلمين و إمامهم. قلت : فإن لم يكن لهم جماعة ولا إمام ؟ قال : فاعتزل تلك الفِرق كلها ولو أن تعض بأصل شجرة, حتى يدركك الموت, وأنت على ذلك ".

هذا حديث عظيم من أحادث رسول الله صلى الله عليه وسلم الجامعة المانعة, يُشخّص الداء, ويصف الدواء. الخير الأول الصافي الذي لا تشوبه شائبة خير النبوة ثم خير الخلافة الراشدة, وتنافس الناس في الخير والاستقامة, وتقديم الأمر والنهي على هوى النفوس, وتقديم رضوان الله ومصلحة الأمة على المصالح والمطامع الشخصية, ثم تدور الدورة الثانية, فيكون خير فيه دخن, دخن الأهواء والبغضاء, والأطماع فيكون الانحراف عن السنن القويمة والهدي المستقيم, ثم التهاون في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر, ولكن يبقى الإطار العام في غلبة الأمة وقرب العهد وبقية الخير.

ثم يطول الأمد, فتقسو القلوب, ويكثر الشر والفساد, وينكمش الخير وأهله, وينعق الباطل فيتقدم أعوانه, وكأنهم يقفون على أبواب جهنم, وكل من أجابهم إلى باطلهم قذفوه فيها, وقد يُدلّسون على الناس هذا الباطل ويسمون الأشياء بغير أسمائها – والعبرة بالمعنى لا بالمسمى – فصائح يصيح بتحرير المرأة من احتلال الرجل – وقد

يكون هذا الرجل قد تجاوز حدوده أو دون ذلك – ولكن الداعي يريد المرأة لذاتها ليلهو بها, ويكشف سترها, ويُفسد أخلاقها, ويغتال دينها وعفافها, ثم يُلقي بها بعد أن أُذبل ربيعها, وأُكسد سوقها, ليته دعا إلى تحرير الأوطان, وتحطيم الأوثان, وتحكيم القرآن, و إعطاء المرأة ما أعطاها ربها في كتابه, والأخذ بوصية رسول الله صلى الله عليه وسلم فيها, وصدق الله العظيم القائل : ﴿وَاللَّهُ يُرِيدُ أَنْ يَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَيُرِيدُ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الشَّهَوَاتِ أَنْ تَمِيلُوا مَيْلًا عَظِيمًا27﴾ سورة النساء.

ومن رحم هذه اللوثة وُلد الاختلاط والعري, وكان له دعاته ومروجوه, واُستغلّت المرأة أسوأ استغلال, ودعا آخرون إلى الفن والرقص والترفيه والعصرنة...! وقل إن شئت " الميوعة " والخنوثة, والفاحشة المقيتة, وقتل الشباب, وذبح الفضيلة, وموت الغيرة, والغفلة عن مهمات الأمة.

حتى الخمور سمّوها بغير اسمها, فقالوا : " مشروبات روحية " ثم تطوّر القوم إلى ترويج المخدرات وتعاطيها, و إغراء الشباب بل والشابات بها, حتى يتصرفوا بهم كيفما شاءوا من فجور ودياثة وعمالة وخيانة.

والإسلام كفل للمرأة حقها, أماً, وزوجة, وبنتاً, وأختاً , وكيفما كان وضعها الاجتماعي, مراعياً في ذلك وضعها العاطفي, والجسماني. ﴿أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ14﴾ سورة الملك.

إن الإنسان وهو مخلوق ضعيف من مخلوقات الله عندما صنع السيارة مثلاً : فرّق بين سيارة الركّاب وسيارة الشحن, وجعل لكل منهما خصائصها التي تتميز بها على الأخرى فيها مجالها الذي صنعت من أجله, ولقد هيّأ العليم الخبير سبحانه كل من الرجل والمرأة بخصائص يتميّز بها ليقوم بمهامه التي كُلّف بها ليتكامل مع الآخر فالأمر تكاملي وليس تسلّط وتحرير وهلم جرى......

ولكن عندما تسلّط أهل الشهوات والأهواء, حصلت هذه اللوثة الخبيثة التي جلبت العار والبوار, ومصادمة الفطرة, وغضب الجبار, فصاحوا بالمسكينة أن هلمي إلى الحرية والانعتاق – وما بهم الحرية والانعتاق لأن الكثير منهم مُحتل من الطغاة والبغاة فليته حررّ نفسه – ولكن ليتلهى بها ويشبع ميوله وغرائزه, وهذا الاحتفال بها ما دامت شابة مقبولة الشكل والمظهر, فإذا ما تقدمت بها السن, وذبل جمالها, وتجعد وجهها, ألقي بها على قارعة الطريق, و إذا بها لا أرضاً قطعت, ولا ظهراً أبقت !

ومن فرط غرامنا بالغرب والتسابق للظهور بمظهر تحرير المرأة جندناها في الجيش والأمن والشرطة, ليستأنس هؤلاء أيضاً – كما يقال – فنحن في عصر الإيناس !

فنحن في هذا العصر لكثرة مصادمة الأعداء, قلّ عدد الرجال عندنا, ولم يعد هناك متسكعين في الشوارع, ولا بطّالين في المقاهي, فاستدعينا الاحتياط النسائي !

والويل لإسرائيل إذا ما زحفت كتائب النساء لتحرير بيت المقدس !

ثم بعد ذلك نشكو من البطالة, وأنها بنسب عالية في أوطاننا, ولو عادت الأمور إلى نصابها واستقامت المرأة مع فطرة ربها, لأخذت المرأة الكثير من المواقع التي زجوا بها فيها لتعمل بما يخصّها ويليق بها, وما يحفظ لها دينها, وخُلقها, وعفافها وكرامتها, وقديماً قيل :

وصدق الله العظيم إذ يقول : ﴿أَوَمَنْ يُنَشَّأُ فِي الْحِلْيَةِ وَهُوَ فِي الْخِصَامِ غَيْرُ مُبِينٍ18﴾ سورة الزخرف.

ولقد قيل : - أجمل ما في المرأة هي حمرة وجهها من الحياء -.

ومن أبواب جهنم التي دعا إليها القوم, الدعوة إلى الإلحاد والجحود ليعود الإنسان, مسخاً قبيحاً, هؤلاء أقل وأذلّ من أن يردّ عليهم فقد ماتت دعوتهم في عقر دارها, ويا بؤساً وتعساً لأناس لا يزالون يكابرون في زوايا أمتنا, يجترون السنين الخوالي هروباً من الفشل والضياع , ونصرة الباطل, ونكران الحق.

ودعاة صمّوا آذاننا بالدعوة إلى القومية, والإقليمية, والقَبلية, حتى أنّ بعضهم أحرز قطعة من الأرض, فسمّاها باسم عائلته, ووسمها باسم قبيلته !

وصاح الصائحون, وصفّق المصفقون, ونافق المنافقون, والأمة في شر حال, القدس مُحتلة, والأقصى يئن, وفلسطين مستباحة, والكعبة مُكبّلة, والقرآن مُغيّب, والشريعة محارَبة, والدول المستقلة معتقلة, والثروات منهوبة, والأمة منكوبة, والقوم في سكرتهم يعمهون !

وآخرون يرددون خلف أعداء الله بما يسمونه الحرب على الإرهاب, فالناس يُعتقلون بحجة الحرب على الإرهاب, تُخنق المساجد وأهلها بحجة الحرب على الإرهاب, يتم التنصت على خصوصيات الناس بحجة على الإرهاب, المسلم مُدان سلفاً بحجة الحرب على الإرهاب, وبهذه الحجة استباحوا إهلاك الحرث والنسل والله المستعان!

وطغاة العصر الذين تولوا كبر هذه الحملة, ذبحوا الأفغان, ودمروا العراق, وأهلكوا الصومال, واستباحوا فلسطين بنكبة ثم نكسة, ثم جزروا الشباب في الانتفاضات اللاحقة, وتدمير لبنان وغزة, وغير ذلك كثير, ففي كل بيت نائحة, فهؤلاء زعماء العالم الحر المتقدم المتنور لا يمتّوا إلى الإرهاب بصلة, نختصهم ونلمسهم وننحني لإنسانيتهم بل ونرقص معهم بالسيف العربي على أشلاء من قتلوا وأنقاض ما دمروا!

لقد هزلت حتى بدا من هزالها   كلاها وحتى سامها كل مفلسِ

وهذا غيض من فيض وقليل من كثير مما فعله الدعاة الذين يدعون على أبواب جهنم, ولكن من حكمة الله البالغة في هذه السنوات الأخيرة, أن جعل من الثورة العلمية في الاتصال والإعلام, الذي أرادوه لإفساد شباب الأمة, فجعل الله منه في كثير من الأحيان خادمٌ لدينه, ومعين لأوليائه . فاستعمل أهل الحق هذه الوسائل فنشروا حقهم وبسطوا خيرهم, وكشفوا زيف وباطل القوم, وفضحوا نفاقهم وعمالتهم. فانحاز الكثير من الناس إلى الحق حتى ولو بقي البعض صامتاً, فإنه ينتظر الساعة المناسبة ليردد

مع إخوانه : ﴿وَقُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ ۚ إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقًا﴿81﴾﴾ سورة الإسراء.

إن الأمة لن تقوم لها قائمة حتى تؤمن بالحق, وتعمل به, وتُزهق الباطل, وتُحطّم الأصنام وتوحّد الله رب العالمين, جاء عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : " غزا نبي من الأنبياء فقال لقومه : لا يتبعني رجل ملك بضع امرأة ولما يبني بها, ولا رجل بنى بيوتاً ولما يرفع سقوفها, ولا رجل اشترى خلفات وهو يرجو نتاجها, فوصل إلى القرية التي يريد وقت العصر, فقال للشمس : إنك مأمورة وأنا مأمور. اللهم احبسها عليّ, فحبسها حتى فتح الله عليه, فجمع الغنائم, فجاءت – يعني النار – فلم تطعمها فقال : فيكم غلول, فليبايعني من كل قبيلة رجل, فلزقت يده في يد رجل منهم فقال : فيكم لغلول, فلتبايعني قبيلتك, فلزقت يده بيد رجلين أو ثلاثة منهم, فقال : فيكم لغلول, فجاءوا بمثل رأس الثور ذهباً فألقاه في الغنائم فجاءت النار فأكلتها " أو كما قال.

نعم أيها الأخوة, القائد نبي مرسل, والجيش مُنتقى منقطع العلائق الدنيوية, وبدعوة هذا النبي تُحبس الشمس, ثم يتم النصر, ومع ذلك أبت النار التي تنزل من السماء أن تأكل الغنيمة كما هو مألوف عندهم, مع كل هذه الميزات والاحتياطات , ومع ذلك هناك خلل أخلّ بالقبول, وهنا يتوجه القائد لجيشه بالتهمة, حتى تبيّن له الأمر وأُعيد كل شيء إلى نصابه, فعند ذلك تقبّل الله منهم ونزلت النار فأكلت الغنيمة, ليتم

البرهان على إخلاص الغاية, وطهارة الوسيلة, والله عزوجل لا يُصلح السيء بالسيء, ولكن يصلح السيء بالحَسن, فلا بدّ من التخلية ثم التحلية كما يقولون.

فمن لا خير فيه لنفسه فلا خير فيه لأمته, والخيرية هنا هي الاستقامة, والخير لا يأتي من الأشرار, هل تنتظر من الذباب العسل ؟!

كيف يُحسن من هو مُفلس من الإحسان ؟!

كيف يُصلح من هو غير صالح ؟!

كيف يأمر بالمعروف من لا يعرف المعروف ؟!

كيف يُنكر المنكر من حياته كلها منكر ؟!

إن دين الله لا يصلح لتطبيقه إلا أهله, يعيشونه في أنفسهم, ويقودون غيرهم به, لقد آن الأوان لقمع الشر والأشرار, ودرء الفساد والمُفسدين, لعل الله أن يُصلح الحال.

"ۖ إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ ۗ" سورة الرعد

الفصل الثاني

لا ينفك الإنسان مهما كان لونه, وعِرقه, وثقافته عن البحث عن السعادة, السعادة الآجلة أو العاجلة, وكلٌّ يصور أو يتصور هذه السعادة المنشودة حسب فهمه أو وهمه.

يقول الله تعالى : ﴿زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنْطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالْأَنْعَامِ وَالْحَرْثِ ۗ ذَٰلِكَ مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ۖ وَاللَّهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الْمَآبِ 14﴾ سورة آل عمران.

وقد يسعد المرء بهذه الأشياء أو هكذا يتخيّل حيناً من الدهر, ولكنه لا بد وأن يكتشف أخيراً أن هذا المتاع ليس بشيء, إن هذه الدنيا كلما كملت من جاني أو قاربت – إن كان هناك كمال – نقصت من جانب آخر, وهي كلحافٍ قصير إن غطيت به رأسك بدت رجلاك, و إن غطيت به رجليك بدا رأسك !

شاء الله لها أن تكون هكذا لأن الكمال المطلق في الجنة.

وقديماً قيل : توقع زوالاً إذا قيل تم.

فجمع الدنيا في يدك كجمع ثلاث تفاحات تتناولها من المائدة بكفٍّ واحدة في آن واحد فلا تلتقط الثالثة حتى تسقط الأولى !

فوطّن نفسك على إدبارها كلّما أقبلت إليك.

واعلم أن أعظم الناس عقلاً, وأصوبهم رأياً, وأكثرهم علماً, وأسعدهم حالاً, وأكثرهم طمأنينة هم أهل الاستقامة على أمر الله تعالى.

﴿أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ28﴾ سورة الرعد.

إنهم فهموا الغاية, وعزموا الوسيلة, فهموا أن الدنيا دار ابتلاء وامتحان, ومتاع قليل, فجعلوها مزرعة للآخرة, القلوب عارفة والجوارح مُطيعة, والألسنة ذاكرة, والأحوال مستقيمة, " ولا يستقيم إيمان عبد حتى يستقيم قلبه, ولا يستقيم قلبه حتى يستقيم لسانه " إن استقامة اللسان, وأدب اللسان, هو أول الخير, وعنوان الصلاح, ولا خير في الطعّان ولا اللّعان, ولا الفاحش ولا البذيء. إنها الصفات المنفية عن سيّد الخلق محمد صلى الله عليه وسلم.وللمؤمن فيه أسوة حسنة, وما أجمل أن يعوّد المؤمن لسانه على الخير والذكر, حتى يستقيم على ذلك, ويصبح هذا الأمر جزءاً من حياته, ومن عاش على شيء , مات عليه, ومن مات على شيء بُعث عليه, من كان آخر كلامه لا إله إلا الله دخل الجنة.

ومن المُشاهد في حياة الناس أن أهل الاستقامة والذكر والقرآن, إذا مرّت بهم الأحداث التي تُغيّب العقل أحياناً, كالحوادث وغيرها, اول ما تنطق ألسنتهم حين تنطق بذكر الله تعالى, وأما أهل الانحراف فيسبون ويشتمون ويهذون!

والله عزوجل جعل لكل عبادة حدّاً ووقتاً وهيئة ونحو ذلك, إلّا الذكر فإنه سبحانه قال : ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا41﴾ سورة الأحزاب.

نعم, إن من أحب شيئاً أكثر من ذِكره, و إذا لم تتذكر الله فمن تذكر ؟!

وما يُغني عنك زيد أو عبيد !

وعندما سأل رجل رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : إن شرائع الإسلام قد كثرت عليّ, فمرني بأمر اتشبث به,قال صلى الله عليه وسلم : " لا يزال فوك رطباً من ذكر الله ". فعلى المؤمن أن يبادر إلى تعلّم أذكار الأوقات والساعات والمناسبات فيستعين بذلك على الذكر الكثير في كل حين, " ومن لزم الاستغفار جعل الله له من كل همّ فرجاً, ومن كلّ ضيق مخرجاً "

إن المسلم الذاكر لله عزوجل يبدأ يومه قبل آذان الفجر بساعة أو دون ذلك بقليل, فيبادر قائلاً : أشهد أن لا إله إلا الله, وأشهد أن محمداً رسول الله, ثم يقول :الحمد لله الذي أحيانا بعد ما أماتنا و إليه النشور, اللهم لك الحمد أنت رب السماوات والأرض ومن فيهن, اللهم لك الحمد أنت قيوم السماوات والأرض ومن فيهن, اللهم لك الحمد أنت نور السماوات والأرض ومن فيهن, اللهم لك الحمد أنت ملك السماوات والأرض ومن فيهن, اللهم لك الحمد أنت الحق ووعدك الحق و لقائك حق, والجنة حق, والنار حق, والنبيون حق, ومحمد صلى الله عليه وسلم حق. اللهم لك أسلمت وبك آمنت وعليك توكلت, وبك خاصمت, و إليك حاكمت فاغفر لي ما قدّمت وما أخّرت, وما أسررت وما أعلنت, وما أنت أعلم به مني,أنت المُقدّم وأنت المؤخر, لا إله إلا أنت.

ثم يبادر إلى الطهارة, والمؤمن حريص على أن يصلي لله سبحانه ما تيسر له قبل آذان الفجر, حتى يُكتب عند الله من الذاكرين الله كثيرا والذاكرات, ولعله أن يُكتب في صحيفة أهل الليل, وشرف المؤمن قيام الليل, وربيع المؤمن فصل الشتاء, يقصر نهاره على الصائمين, ويطول ليله للقائمين, والمؤمن كالتاجر الحازم الذي يبادر لاقتناص فرص الربح, ورأس مال المؤمن وربحه دينه,والسوق أيام العمر وساعاته والأوقات المخصوصة بالقبول والرحمة, ومنها ساعة آخر الليل, ساعة النزول الإلهي حين ينادي : من يدعوني فأستجيب له, من يسألني فأعطيه, من يستغفرني فأغفر له, فإن فاتت هذه الساعة على المؤمن من عذر أو طارئ أو حاجة فلا تفوته من الليلة الثانية, وليحرص أن يكون له نصيب من هذا الخير.

ثم يخرج من بيته متوجهاً إلى المسجد فيقول: بسم الله, آمنت بالله, توكلت على الله, ولا حول ولا قوة إلا بالله, اللهم إني أعوذ بك أن أَضلّ أو أُضلّ, أو أَزل أو أُزلّ, أو أَذلّ أو أُذلّ, أو أَجهل أو يُجهل عليّ, ثم يقرأ الفاتحة وأوائل سورة البقرة, وآية الكرسي إلى قوله "..... خالدون ", ثم أواخر سورة البقرة, ثم سورة الإخلاص والمعوذتين, ثم يدخل المسجد برجله اليمنى قائلاً : أعوذ بالله العظيم, وبوجهه الكريم, وسلطانه القديم, من الشيطان الرجيم,بسم الله, اللهم صل على محمد, اللهم اغفر لي ذنوبي, وافتح لي أبواب رحمتك. ثم يُصلي مع جماعة المسلمين, متجنباً الأذى لأي أحد من إخوانه المسلمين, بصوت أو حركة أو تصرف, وعليه أن يقضي الوقت الذي بين الأذان والإقامة في مراجعة القرآن من المصحف أو من حفظه, و إياه والحديث في الدنيا وهو

في بيت الله عزوجل, إلا من ضرورة, والمؤمن يقرا القرآن على طريقة الحالّ المرتحل, الذي يضرب من أول القرآن إلى آخره, ثم يعود إلى أوله, فلا يألف تلاوة سورة محددة, ويهجر ما سوى ذلك. وعندما يختم يدعو الله بما شاء من خيري الدنيا والآخرة فإنها من ساعات الاستجابة, وليكن من دعائه : اللهم إني عبدك, ابن عبدك, ابن أمتك, ناصيتي بيدك, ماض فيّ حكمك, عدل فيّ قضائك, أسألك بكل اسم هو لك, سميت به نفسك, أو أنزلته في كتابك, أو علمته أحداً من خلقك, أو استأثرت به في علم الغيب عندك, أن تجعل القرآن العظيم ربيع قلبي, ونور صدري, وجلاء همي, وذهاب غمي. وعندما يختم دعائه, يستعيذ بالله من الشيطان الرجيم, ويبسمل ويقرأ من أول القرآن ما تيسّر ولو سورة الفاتحة, بنية العود إليه من جديد.

فإذا سلّم المؤمن من صلاة الصبح, بادر إلى الذكر والتسبيح والتحميد والتكبير المعروف, فإنهن الباقيات الصالحات, التي لا يستهين بهن إلا محروم, وصلاة الصبح وصلاة المغرب مخصوصة بذكر آخر بعد السلام مباشرة وهو أن تقول : لا إله إلا الله وحده لا شريك له, له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير عشر مرات, وقراءة الإخلاص والمعوذتين, وقراءة آية الكرسي دبر كل صلاة يؤهلّك لدخول الجنة.

ومن أذكار الصباح بعد الصلاة أن يقول المؤمن : اللهم أجرني من النار, سبع مرات, حسبي الله لا إله إلا هو عليه توكلت وهو رب العرش العظيم, سبع مرات, سبحان الله العظيم وبحمده, ثلاث مرات, وقاية من العمى والجذام والفالج.

اللهم أنت ربي لا إله إلا أنت, عليك توكلت وأنت رب العرش العظيم, ما شاء الله كان, وما لم يشأ لم يكن, ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم, أعلم أن الله على كل شيء قدير, وان الله قد أحاط بكل شيء علما, اللهم إني أعوذ بك من شر نفسي, ومن شر كل دابة أنت آخذٌ بناصيتها, عن ربي على صراط مستقيم, حتى يتولّاك الله بحفظه, ثم تقول : بسم الله على نفسي وأهلي ومالي, ثم لا يغفل المؤمن في هذه الساعة المباركة, سواء كان في مجلسه الذي صلى فيه أو رجع إلى بيته, أو في الطريق أن يقول : أصبحنا وأصبح الملك لله, والحمد لله لا شريك له, لا إله إلا هو وإليه النشور, أصبحنا على فطرة الإسلام وعلى كلمة الإخلاص وعلى دين نبينا محمد صلى الله عليه وسلم, وعلى ملّة أبينا إبراهيم حنيفاً وما كان من المُشركين. اللهم ما أصبح بي من نعمة أو بأحد من خلقك, فمنك وحدك لا شريك لك فلك الحمد ولك الشكر, يا رب لك الحمد كما ينبغي لجلال وجهك , وعظيم سلطانك, رضيت بالله ربا وبالإسلام دينا, وبمحمدٍ صلى الله عليه وسلّم نبياً ورسولا, سبحان الله وبحمده, عدد خلقه, ورضا نفسه, وزنة عرشه, ومداد كلماته, بسم الله الذي لا يضر مع اسمه شيء في الأرض ولا في السماء وهو السميع العليم, اللهم إنا نعوذ بك أن نشرك بك شيئاً نعلمه, ونستغفرك لما لا نعلمه, أعوذ بكلمات الله التامات من شر ما خلق, أعوذ بالله من الهم والحَزن, وأعوذ بالله من العجز والكسل, أعوذ بالله من البخل والجبن, و أعوذ بالله من غلبة الدين وقهر الرجال, اللهم عافني في بدني, اللهم

عافني في سمعي, اللهم عافني في بصري, اللهم إني أعوذ بك من الكفر والفقر, وأعوذ بك من عذاب القبر, لا إله إلا أنت.

اللهم أنت ربي لا إله إلا أنت, خلقتني وأنا عبدك, وأنا على عهدك ووعدك ما استطعت, أعوذ بك من شر ما صنعت, أبوء لك بنعمتك عليّ, وأبوء بذنبي فاغفر لي فإنه لا يغفر الذنوب إلا أنت.

أستغفر الله الذي لا إله إلا هو الحي القيوم وأتوب إليه...

ثم تقول : لا إله إلا الله وحده لا شريك له, له الملك وله الحمد, وهو على كل شيء قدير, عشر مرات...

ثم تقول : اللهم صلّ وسلم على سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم, عشر مرات...

ثم تقول : سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله, والله أكبر, مئة مرة...

ثم تقول : سبحان الله وبحمده, مئة مرة..

ثم تقول : سبحانك اللهم وبحمدك, أشهد أن لا إله إلا أنت, أستغفرك وأتوب إليك, سبحان ربك رب العزة عما يصفون, وسلام على المرسلين, والحمد لله رب العالمين.

ولا ينسى المؤمن عند خروجه من المسجد أن يُقدّم رجله اليسرى قائلاً : بسم الله, اللهم صل على محمد, اللهم اغفر لي ذنوبي, وافتح لي أبواب فضلك, فالمؤمن

الذاكر لله تعالى, لا يغفل عن ذكر الله على كل أحواله, ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ162 لَا شَرِيكَ لَهُ ۖ وَبِذَٰلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ163﴾ سورة الأنعام.

ولكل وقتٍ ذكر, ولكل عمل ذكر, والمؤمن يُحصي ذلك كله, فإن نسي تدارك الأمر إذا ذكر, حتى ينطلق لسانه بذكر الله تعالى, فيكون من الذين قال الله فيهم: ﴿الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَٰذَا بَاطِلًا سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ191﴾ سورة آل عمران.

﴿ومثل الذي يذكر ربه ومثل الذي لا يذكره كمثل الحي والميت ﴾.

فإذا بدأ المؤمن يومه بهذه البداية السعيدة الهنيئة, فسيظل قلبه معلقاً بمولاه, إذا تعلّق الناس بالمخلوقين تعلق هو برب العالمين, فيعود إلى بيته شاكراً ذاكراً, ليعين أهله على طاعة الله, حين يرونه قدوة حسنة, لا يخالف فعله قوله, مُخبت القالب, طاهر الجوارح, ذاكر اللسان, مستقيم النهج.

حتى في طلبه للرزق الحلال, يخرج ويدخل ويتعامل على ذكر واستقامة, ولا يغفل عن متابعة أخيار المسلمين في مشارق الأرض ومغاربها, لأنه يؤمن بأنه جزء من كل, وفرد من أمة," ومن لم يهتم بأمر المسلمين فليس منهم " – وكلٌّ له ظروفه والوسيلة المناسبة له - فإذا ارتفع النهار بادر المؤمن إلى الطهارة من جديد, ثم صلّى ما تيسر له, صلاة الضحى, " صلاة الأوابين إذا رمضت الفصال ", وأقرب ما يكون

هذا الوقت قبل الظهر بساعتين أو ما يقاربها, إنها وصية رسول الله صلى الله عليه وسلم للمخلص من أصحابه والتابعين من أمته, إن لهذه الصلاة لذة أخرى, شكراً لله على نعمة التوفيق لطاعته, ونعمة العافية,فكم من الناس من هو غافل عن طاعته, ينام بملء جفنيه, ويضحك بملء فيه, وربما يهزأ بالدين والمتدينين, وكم من الناس من هو سقيم الجسد, لا تعينه عافيته على طاعة الله, وهذا له عذر إن صحّت النية, أما أنت فقد هداك الله وعافاك, أفلا تشكره بركيعات تركعها من الضحى, والشكر قيد للموجود, وصيد للمفقود, إن من الناس من لا يستطيع أن يتطهر إلا بمساعدة غيره, يدخل معه الخلاء, يتولى فيه ما يتولّى المرء من نفسه... وأنت سليم الأعضاء, معافى البدن, تتولى أمر نفسك بنفسك, أفلا تشكر صاحب الفضل, وولي النعمة؟! ﴿... وَلَئِنْ كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ7﴾ سورة ابراهيم. تشكره بلسانك, وتشكره بقلبك, فتخشع له, وتشكر بجوارحك, فيعنو له وجهك, وتذل له رقبتك, ويخشع له صوتك, وتقول : سجد وجهي للذي خلقه, وشق سمعه وبصره, فتبارك الله رب العالمين, يا رب خشع لك سمعي وبصري وعصبي ومخي وعظمي, وما استقلت به قدمي. وأحسن الشكر وأتمه أن تستعمل نعمته في طاعته, وكل شيء فيك أو منك أو لك من مرغوب ومحبوب فهو من نعمته سبحانه وتعالى, فاشكر وأكثر فالله أكثر.

إذا كان شكري نعمة الله نعمة   عليّ له في مثلها يجب الشكر
فكيف بلوغ الشكر إلا بفضله   وإن طالت الأيام واتصل القمر
إذا مسّ بالسراء تم سرورها   وإن مسّ بالفراء أعقبها الأجر

فما منها إلا له فيه نعمة تضيق بها الأوهام والسر والجهر

وهذا بابٌ عظيم تدخل منه لتطالع نعم الله عليك وعلى الناس, ﴿ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ 187 ﴾ سورة الأعراف.

بل هم غافلون !!!

فإذا اقترب الظهر , بادر المؤمن إلى السجد متسلّحاً بالطهارة والذكر, يغض بصره, ويحفظ سمعه, ولا يكثر الالتفات, ولا يتطفل على أحوال الناس بقول أو عمل أو تصرّف.

ويلزم نفسه بحديث رسول الله صلى الله عليه وسلم : " من حسن إسلام المرء تركه ما لا يعنيه ".

ثم ليحفظ نفسه ووقته في المسجد, إما مصلياً أو ذاكراً, أو قارئاً للقرآن, أو مطالعاً لكتاب نافع, أو مستمع لواعظٍ أو مُذكّر , ثم يقضي صلاته, ويأخذ حظّه من ذكر الله تعالى, ليكون متصل بربه ساعة بساعة, ولحظة بلحظة, " تعرّف إلى الله في الرخاء يعرفك في الشدة " حتى في طريق عودته إلى بيته, لا يغفل عن ذكر الله تعالى.كأن يقول : سبحان الله, والحمد لله, ولا إله إلا الله, والله أكبر. يقولها ثلاثاً, سبحان الله وبحمد, عدد خلقه, ورضا نفسه, وزنة عرشه, ومداد كلماته, اللهم لا تنسيني ذكرك,

يا من بِذكره تطمئن القلوب. اللهم اجعل لساني رطباً بذكرك يا كريم. لا إله إلا الله وحده لا شريك له, له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير. عشر مرات.

ثم لا يغفل عن حق نفسه في الطعام والشراب, و إن كان وقته يسمح بشيء من النوم (القيلولة) ليستعين بها على أمر دينه ودنياه, و إن النفس لا بد لها من شيء من الراحة حتى لا تكلّ وتملّ, وأحسن النوم وأنفعه في أول الليل ثم في هذه الساعة, أما السهر الطويل ثم نوم الصبحة, فهو من علامات الإفلاس الديني, والدنيوي وحتى الصحي, والله الموفق.

" والنوم ثلاثة : نوم خرق وهي نومة الصبحة, ونوم خلق وهو القيلولة بعد الظهر, ونوم حمق وهو بعد العصر ".

إلا من ضرورة قاهرة, ولقد كان الأخيار الذين يحفظون أنفسهم وأوقاتهم, ويسارعون في الخيرات, قبل ساعة الممات يقال عنهم :" أكلهم فاقة, ونومهم غلبة, وكلامهم ضرورة " . وهذه هي الحكمة في العيش, والاستعداد ليوم الميعاد, وما أشقى من تنقلب حياته كلها إلى أكل ونوم وانهماك في القيل والقال, غفل المسكين عن نفسه, وشغلته مناظر الطريق عن غاية السفر , وكل شيء زاد عن حدّه انقلب ضده, وخير الأمور أوساطها, ولا ينسى المؤمن حظّ أهله من نفسه في مطالعتهم وتربيتهم, ومؤانستهم, " وابدأ بمن تعول " وقديماً قيل : ينبغي للرجل أن يكون في بيته كالصبي, فإذا بحث ما عنده كان رجلاً " أي أن يتواضع لأهله وولده, وينزل إلى

مستوياتهم ما داموا ضمن ما تسعه الشريعة, ولا يخالف ما أمر الله به, وليعلم أن استقامته هو في نفسه أقوى تأثيراً عليهم من كل أقواله, إن كانت مخالفة لأفعاله, ﴿وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلَاةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا﴾ سورة طه.

ومن أعجب العجب أن الكثير ممن يتّبع هوى امرأته لا يحفظ من السنة إلا قول رسول الله صلى الله عليه وسلم : " خيركم خيركم لأهله وأنا خيركم لأهلي... " ! وهذا حديث حق لا شك في ذلك, ولكن أي أهل ؟! المسلمات المؤمنات القانتات التائبات, السائحات أم الغافلات, المتكشفات, المستهترات, المتفلتات, هذا إن لم يكن مائلات مميلات..!!!

إن من أطاع امرأته في هواها,أكبه الله في نار جهنم, وقبل هذا وذاك : ﴿الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ بِمَا فَضَّلَ اللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ﴾ سورة النساء.

فهل قمت بواجب القوامة في الحفظ والتربية والتعليم والالتزام, وتقديم أوامر الله ورسوله على ما جاءنا من الغرب والشرق من البهرجات والموضات, وسيء العادات!

إن بين أيدينا يوماً : ﴿يَوْمَ يَفِرُّ الْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ34 وَأُمِّهِ وَأَبِيهِ35 وَصَاحِبَتِهِ وَبَنِيهِ36 لِكُلِّ امْرِئٍ مِنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ37﴾ سورة عبس.

وقبل ذلك كله حسن الاختيار, " فاظفر بذات الدين تربت يداك " و إياك وخضراء الدمن, وهي المرأة الحسناء في المنبت السوء, ولا يغرنك زخرف القوم, وخضوع القول, فإن من خضع لك, خضع لغيرك ! وقديماً قيل : شر صفات الرجال خير صفات

النساء ! الجبن والبخل والكبر, فالجبن يجعلها تخشى الخروج, والتصرفات التي تحتاج إلى جرأة, والبخل يجعلها تحفظ مال زوجها ومال نفسها, والكبر يجعلها ترى في نفسها أنا أكبر من ان يجترئ عليها زيد أو عبيد في قليل أو كثير, ومن كانت هذه صفاتها, فهي أحب لزوجها, وأهنأ للعيش معها.

وذات الدين والخلق هي أنجح وسيلة لتربية الأولاد على الدين والخلق, وأول التوفيق لحسن التربية, اختيار الزوجة.

شكى رجل ولده إلى عمر رضي الله عنه,فاستدعاه عمر, فلما حضره بين يديه قال : يا أمير المؤمنين ما حق الولد على الوالد؟ قال : أن يختار أمه, وأن يُحسن اسمه, وأن يُعلّمه من العلم ما يعرف به فرائض دينه ! فقال : يا أمير المؤمنين, إن أبي اختار أمي جارية من جواريه, وسماني جُعيل, وجعلني راعٍ لإبله ولم يعلمني حرفاً ! فقام عمر رضي الله عنه إلى الوالد يخفقه بالدرة وهو يقول : لقد عققته قبل أن يعقك !

والأم مدرسة الأولاد الاولى, وأولى الناس بخيرك ! إن كان فيك خير أهلك وولدك.

وابدأ بمن تعول, والأقربون أولى بالمعروف, وكلكم راعٍ وكلكم مسؤول عن رعيته,والعقوق أول الثُّكل, فالمؤمن يحرص على تربية أولاده وتعليمهم, وحفظ دينهم وخلقهم, كحرصه على طعامهم وشرابهم ودواءهم, ومن كان عنده من البنات شيء فعلمهن وأدبهن, وأحسن إليهن كن له ستراً من النار. إنهن المؤنسات الغاليات, وهن

أولى بالرقة والعطف, لضعفهن وقلة حيلتهن, ﴿أَوَمَنْ يُنَشَّأُ فِي الْحِلْيَةِ وَهُوَ فِي الْخِصَامِ غَيْرُ مُبِينٍ18﴾ سورة الزخرف.

وقد قيل في الولد : هو ريحانتك سبعاً, وخادمك سبعاً, ووزيرك سبعاً, ثم هو بعد ذلك عدو أو صديق ! والمؤمن كَيّس فطن, يراعي السن, ويقدّر الأمور. ويتخوّل بالموعظة.

ويراقب من بعيد ولا يغفل, ولكن يتغافل, يُظهر أحياناً أنه لم يسمع, أو لم يرَ أو لم يفهم, أو لم يدرِ, مع أنه حازم في أوان الحزم, ولكن لا يجعل هدفه تصيّد الهنات, يبالغ في مدح الخير وفاعله ليسارعوا فيه, ويذم الشر والفساد حتى يبغضوه.

وقرّة العين, وأسعد العيش أن ترى ولدك, وثمرة فؤادك وهو يترسم طريق الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين, وحسن أولئك رفيقا, وأحق الحقوق, وأوجب الواجبات, أن تربي ولدك على طاعة الله, وتقواه ومحبة المؤمنين, وحُسن الأدب مع الخالق ثم مع الخلق, " وما نحل والدٌ ولداً يخلّه أحسن من أدب حسن ". ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ...﴾ سورة التحريم.

وأهم الأسباب تأثيراً في سني الشباب الأولى خيراً أو شراً هي البيئة والأصحاب," والمرء على دين خليله ".. والصاحب ساحب, ومن تهاون في صحبة الأشرار ندم, ولو بعد فوات الأوان, إن البيئة الوبيئة بالفساد هي أشد عليهم من البيئة الفاسدة الهواء, والأجواء الممرضة لأجسادهم وأبدانهم.

وعلاج الأبدان قد يكون ممكناً وقريباً, ومداه الحياة الدنيا, أما مرض القلوب بالشهوات والشبهات, فهيهات إلا أن يشاء ربي شيئا, ثم يُفضي إلى ما بعد الموت!

فالمهم أن المؤمن لا تجده إلا مُشتغل في فرض أو واجب أو مُستحب, أو مباح يستعين به على أمر دينه, أو ما لا بد له منه من السعي في طلب الحلال, وستر الحال, والقيام على العيال.

فإذا قارب العصر , توجه إلى المسجد ذاكراً الله تعالى مُتطهراً, ليدخل المسجد على الهيئة التي ذكرت آنفاً, والمؤمن حريص أن يشمله دعاء رسول الله صلى الله عليه وسلم بالرحمة فيصلي قبل العصر أربعاً, بعد الأذان ثم يستغل الوقت إلى حين الإقامة في الذكر ومراجعة القرآن, أو مطالعة كتاب نافع, ثم يُصلي مع جماعة المسلمين, ويأخذ حظّه من الذكر البعدي – أي بعد الصلاة -.

ثم بعد أن يقضي أمره يتوجه إلى بيته, وليحرص أن يقول : سبحان الله وبحمده مئة مرة, وأن يصلي على النبي صلى الله عليه وسلم عشر مرات, فهذه ساعة الأصيل المأمور بالذكر فيها ولو قال : سبحان الله مئة مرة لكان خيراً له. ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا ۝41 وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ۝42﴾ سورة الأحزاب.

وكلٌّ له ظروفه, وترتيب وقته حسب حاله, وقدراته, وساعات فراغه.

فإذا غابت الشمس عاد إلى المسجد من جديد, ولا يغفل عن ذكر الانطلاق والدخول والخروج, ثم يقرأ سورة الواقعة أماناً أن تصيبه فاقة, ثم يقرأ قوله تعالى : ﴿قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكَ الْمُلْكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَنْ تَشَاءُ وَتَنْزِعُ الْمُلْكَ مِمَّنْ تَشَاءُ وَتُعِزُّ مَنْ تَشَاءُ وَتُذِلُّ مَنْ تَشَاءُ ۖ بِيَدِكَ الْخَيْرُ ۖ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ26﴾.... إلى قوله تعالى : ﴿ ۖ وَتَرْزُقُ مَنْ تَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ27﴾ سورة آل عمران. ثم يقول : اللهم هذا اقبال ليلك, و إدبار نهارك, وأصوات دعاتك فاغفر لي. – ثلاث مرات – ثم يدعو لنفسه و لإخوانه المسلمين من باب الاستحباب : اللهم إن قلوب المسلمين اجتمعت على محبتك, والتقت على طاعتك, وتوحدت على طاعتك, وتعاهدت على نصرة شريعتك, فوثق اللهم رابطتها, وأدم ودّها, واملأها بنورك الذي لا يخبو, واشرح صدورها بفيض الإيمان بك, وجميل التوكل عليك, وأحيها بمعرفتك وأمتها على الشهادة في سبيلك إنك نعم المولى ونعم النصير. اللهم آمين وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

فإذا صلى المغرب فليذكر الله كما في صلاة الصبح : لا إله إلا الله وحده.... عشر مرات. قراءة آية الكرسي وهي مستحبة دبر كل صلاة. ويزيد هنا الإخلاص والمعوذتين كما في الصباح. اللهم أجرني من النار سبعاً, حسبي الله لا إله إلا هو.... سبعاً .

وليجعل المؤمن هذه الساعة المباركة إلى صلاة العشاء في ترتيب الوقت مع جماعة المسجد, من درس أو موعظة, أو قراءة قرآن, يلقي إن كان أهلاً للإلقاء, أو يستمع ويشارك فيما ينفعه وينفع جماعة المسلمين " والدين النصيحة".

ثم يُصلي العشاء وليحرص على صلاة الوتر, ولا يؤجلها ثم ينام عنها, والوتر أول الليل لا يمنعك من الصلاة آخره إن تيسر لك الأمر. " فأوتروا يا أهل القرآن ".

والمؤمن الفطن يتعامل مع الكيفيات, والصيغ المتعددة لبعض الطاعات, يكامل العبودية. فإذا ثبتت هذه الصيغ والكيفيات عمل بها جميعاً, تارةً بهذه وتارة بتلك. ولا يحجر على نفسه ما وسعه الله تعالى, فكل ما يريده الله من عبده هو سجود القلب. ﴿.... وَبَشِّرِ الْمُخْبِتِينَ34 الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَالصَّابِرِينَ عَلَىٰ مَا أَصَابَهُمْ وَالْمُقِيمِي الصَّلَاةِ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ35﴾ سورة الحج.

ثم تقول : سبّوح قدّوس – ثلاثاً- ثم تقول : رب الملائكة والروح, ثم تقول : اللهم أنت ربي لا إله إلا أنت عليك توكلت, وأنت رب العرش العظيم.... الدعاء إلى آخره الذ ذكرته عند الصباح, ثم تقرأ الفاتحة والآيات التي قرأتها عند الصباح إلى آخر المعوذتين, ثم تقول الأدعية والأذكار نفسها مع مراعاة المساء كأن تقول : أمسينا وأمسى الملك لله... إلى آخره, إلى آخر سيد الاستغفار... ثم تختم بسبحانك اللهم وبحمدك, أشهد أن لا إله إلا أنت, أستغفرك وأتوب إليك.

ثم تطالع ما لا بد منه من شؤون نفسك وأهلك وولدك و إخوانك المسلمين...

ثم إذا أويت إلى فراشك, قرأت الفاتحة, وآية الكرسي, وأواخر سورة البقرة, وأوائل سورة غافر إلى قوله – إليه المصير – و سورة الإخلاص. ثم تقول : أعو ذ بكلمات الله التامات من شر ما خلق – ثلاثاً – أعوذ بكلمات الله التامة من غضبه وغضابه, ومن

شر عباده, ومن همزات الشياطين, وأن يحضرون – ثلاثاً – اللهم إني سلّمت أمري إليك, ووجهت وجهي إليك, وألجأت ظهري إليك, وفوضت أمري إليك, لا ملجأ ولا منجا منك إلا إليك, آمنت بكتابك الذي أنزلت, ونبيك الذي أرسلت.

ثم تقول : باسمك ربي وضعت جنبي وبك أرفعه, فإن أمسكت نفسي فارحمها, و إن أرسلتها فاحفظها بما تحفظ به عبادك الصالحين. استغفر الله – ثلاثاً -, وخير هيئة نكون عليها أو نبدأ بها نومك, هي أن تكون مستقبلاً القبلة, واضعاً كفّك اليمنى تحت خدّك الأيمن. ولا يغفل المؤمن أن يذكر الله إذا انتبه من نومه وتقلّب في فراشه.

وهناك أذكار أخرى, إذا أخذ بها المؤمن فكلٌّ خير, ولكن هذه نبذة يسيرة ليتعلم المؤمن كيف يعيش على ذكر الله,ويمارس هذا الذكر في أوقاته المخصوصة, هذا بالنسبة إلى الأذكار اليومية, أمّا ذكر الأحوال والطوارئ وما يجب علي المؤمن في حياته فهذا شيء كثير, ومن أراد التوسع فعليه بكتب الأذكار, و إنه لحقيق بالمؤمن أن يتعلم ذلك كله أو بعضه على حسب حاله ووقته.

و إضافة إلى ما ذكرت, يجب أن يعلم المؤمن أنه لا يكفيه الذكر والعبادات التي تتعلق به شخصياً, حتى يتخلّق بخلق الإسلام, ويتأدب بأدب الإسلام, ويعامل الناس وفق تعاليم الإسلام, ولا تنسى أخي المسلم, المرأة التي ذُكرت عند النبي صلى الله عليه وسلم وذكر من صلاتها وصيامها, ولكنها تؤذي جيرانها بلسانها فقال صلى الله عليه وسلم : " لا خير فيها, هي من أهل النار "

" الدين المعاملة ".... " الدين النصيحة "... ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ 119﴾ سورة التوبة.

﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا....﴾ سورة النساء.

والمؤمن يبلغ بحسن خُلُقه درجة الصائم القائم, " ومن غشنا فليس منا "... " الحسد يأكل الحسنات, كما تأكل النار الحطب "... ".... فساد ذات البين هي الحالقة.."..." ومن لم يهتم بأمر المسلمين فليس منهم "... " من أكبر الكبائر بعد الشرك, العقوق, قول الزور, وشهادة الزور "... ﴿ وَيْلٌ لِكُلِّ هُمَزَةٍ لُمَزَةٍ 1﴾ سورة الهمزة.

﴿ وَيْلٌ لِلْمُطَفِّفِينَ 1﴾ سورة المطففين.

﴿ وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ 44﴾ سورة المائدة.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَىٰ أَوْلِيَاءَ ۘ ﴾. سورة المائدة.

تم بحمد الله.